# الرَّوضُ النَّضِيرُ

## كالمستدرك على البنان المشير

تاريخ وحياة العالم النحرير

الشيخ محمد بن محمد بن احمد باكثير

تأليف

الشيخ عمر بن محمد باكثير

طبع على نفقة وإشراف

*عبد القادر احمد باكثير*

تم طبعه في فبراير ٢٠٠٧ م

الطباعة بعناية *احمد عمر العطاس* **مكتبة الشافعي** المكلا ت ٣٧١٧٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله علي السيد المصطفى منقذ البشر ، وأكبر فذ وعبقري عرف فضله التاريخ العربي ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه شموس الهدى ، وحتوف الردى ، الذين دوخو العالم العام علما وعملا وبسالة ، وشرفو العرب العرباء بأجل المفاخر والمناقب ، وأكبر الشمائل والمراتب .

**( وبعد )** فإني منذ عشرين سنة وذلك منذ توفى الوالد الشيخ محمد بن محمد بن احمد باكثير وأنا أكتب ماله من مناقب ومآثر ؛ حتى اجتمع لديّ من ذلك الشيء الكثير ، وقد عنَّ لي أن أفرده بمؤلف يحتوي على ترجمة له موفية ، ومأثرة له مطولة كافية ، حتى اعتزمت في خلال هذه السنوات على كتابة نسخة من مؤلفه المسمى ( **البنان المشير في تراجم أفاضل آل أبي كثير** ) حيث أن الوالد توفى بعد إكماله ، غير أنه لم يحقق بعذ تراجم فيه ، ولم تكن منه إلا هذه النسخة الوحيدة التي احتوت على البياضات والحواشي والأغلاط من عدم التحقق على بعض التراجم لعدم الموارد ، وغموض التاريخ الحضرمي ، ولابد من ذكر شسيء من ذلك لتحقيق المقال وصحته ، وأغفل كثيرا من آل أبي كثير عثرنا بعد موته على آثارهم ، وعلى كثير ممن تأخر عنه وأكبرهم ترجمته هو لنفسه التي هي المقصود من هذا .

فقد أزمعت العزم على تأليف مؤلف كالمستدرك على **البنان** وسميته ( **الروض النضير ذيل البيان المشير** ) طالبا من المولى الإعانة على تكميل مانويت ، وأن يسدد الخُطا ، ويجنبنا طريق الأخطا ، ويقوي الهمم ويهيئ الأسباب إنه ولي التوفيق .

## ( نسبه )

محمد بن محمد بن احمد بن سالم بن عبد الغفار بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن عبد القادر بن محمد بن سلمه بن عيسى بن سلمه باكثير .

قال في الفرائد نظم الفوائد ناظماً نسبه :

| | |
|---|---|
| اسمي محمـــد كذاك اسم أبي | واسم أبيه احـمد في النسب |
| ابن محمـــــد ابن سالم يلي | عبدا لغفار أخي التفضـــــل |
| ابن محمد أخي **الجـــديدة**[1] | أعني ابن عـبدِ الله يامـريده |
| هو ابن عبدٍ للرحيم المنتـمي | لعبد قادر الطـويل فاعـــلمِ |
| ابن محمـد الفتى ابن سلـــمه | كذا ابن عيسى بعد ذاك تممه |
| كذا إلى سلمة أيضـا أحسبِ | رابع عشرها خـــتام النسب |
| هذا الذي صح عن الثقـات | الحائزين الفضل بالثــــبات |

وينتهي نسبه إلى كندة الشهيرة كما ذكره المحققون المؤرخون في كثير من التواريخ المعتمدة مما لانطيل بذكره .

## ( ميلاده ونموه ومشائخه )

كان ميلاده رحمه الله في فاتحة الحجة سنة : ١٢٨٣ ثلاثة وثمانين ومائتين وألف هجرية في مدينة سيوون ، تربى برعاية أخيه الفاضل العابد الكريم المرحوم الشيخ احمد بن محمد باكثير الذي ترجم له في مؤلفه ( **البنان المشير** ) وأطنب الكلام في ترجمته ، لأن والدهما توفي والمترجم له صبي ، فقام بنظره وتعليمه أخوه الشيخ احمد المذكور ، فقرأ القرآن العظيم على المعلم عبده بن سعيد بازهير ، ولازال يرعاه ويحيطه بتعاليمه أخوه احمد حتى قارب البلوغ ، ثم لازم علماء

---

[1] **الجديدة** : بئر معروفة قرب السوم بالجهة القبلية بحُمة سيوون ملك المذكور .

البلد أشد الملازمة ، واجتهد وجدَّ في طلب العلم الشريف حتى فاق أقرانه ، ونال منه حظا وافرا بمطالعاته والتلقي عنه من غالب أبناء هذه البلد سيوون وعيونها ( المجدين ) السير في طلب العلم والتضلع فيه ، فقلما تجد أحدا من أبناء هذه البلدة ممن يتوسم فيه مبادئ العلم والإلتحاق به إلا وله من المترجم اخذ وتلقي واستفادة ، كما أشرت إلى ذلك في مرثيتي فيه بقولي :

يكفيه فخرا حيث كان على المدى　　　شيخا لهذي القدوة الأعيان

وأخذ عنه كثير من العلماء ، نذكر الذين اشتهروا منهم : السيد الشهير الفقيه العلامة قاضي القضاة الإمام : عبد الله بن محسن بن علوي السقاف ، صاحب الوجاهة والفطانة ، والمرشد الكبير ، والمذكر البليغ ، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر . ولما توفى في سنة ١٣١٣ هـ في شهر رمضان أنشأفيه المترجم له قصيدة مطولة رثاه بها مطلعها :

أسد المنون على الأعمار تفتال　　　والنفس مابرحت تزهو وتختال

واتصل بأخيه العارف بالله والدال عليه ، المفضال الكامل الورع الزاهد ، والمذكر القدير ، الذي يخترق القلوب كلامه ، السيد عبيد الله بن محسن بن علوي السقاف ، فلازمه ملازمة تامة ، وقرأ عليه قرآءات جمة في كتب لاتحصى ، ومدحه بمدائح كثيرة موجودة في ديوان المترجم له ، وطلب صاحب الترجمة الوصية منه وذلك بإنشاء قصيدة مديحة وفيها طلب الوصية وأن يطيلها ، وأن يذكر فيها أخاه احمد بن محمد باكثير . نص القصيدة المذكورة مايلي :

ياكرام الحمى صلوا بالمراد　　　فاشتياقي لحيكم في ازدياد

أنا عبد لذاتكم وحياتي　　　بوصال وموتتي ببعاد

إن قلبي لمولع بهواكم　　　فاطفئوا لاهب الهوى بفؤادي

إلى أن قال بعد التخلص إلى مدحه وهو موضع المقصود من طلب الوصية :

قلت لما تيممت بي قلوصي طالبا نوره بغير ازدياد
كم يناديك ياملاذي فقير فاستمع يابن محسنٍ للمنادي
فاستمع يابن محسن لمحب طالبا من نداك فك القياد
طالبا مطلبا فهل أنت معط يه إذا أنت منجز الميعاد
إنني طالب الإجازة منكم فامنحوني بمطلبي ومرادي
واجعلوها مع الوصية سِفراً أتخذ نوره سراج الرشاد
فاعتقوني به فإنيَّ عبدٌ آبق ماكث حضيض البعاد
أدركوني ببغيتي إن قلبي راغب فيه وهو أعلى ارتيادي
وابسطوا في وصيتي بسط الله لديكم بساط أهل الوداد
وأطيلوا الخطاب في كل حال في مجاري معاشنا والمعادي
واجعلوا ما أريد بيني وبين الطالبين المساعدين الجياد
ستة من بنيكمُ طلبوها طلبا جيدا قوي العتاد
وأحبابنا الكرام الأجلا صار قلبي لبعدهم كرماد
وأخي الفاضل الخلاصة فيكم وهو إنسان أصل عين السواد
فاجعلوا خطه كثيرا جزا ه الله خيرا وعزه في البلاد
واذكروا نجلكم عسى بهداه نهتدي في مجامع الأسعاد

إلى آخر القصيدة وهو طويلة ، واقتصرنا على ماذكر ، وبعد سماعها أسعفه بالوصية المطلوبة الطولى التي تنيف على نحو خمسة عشر كراسة ملأها بالوصايا والإرشادات والمواعظ والرقائق وحكايات السلف الصالح .

ولما توفى في سنة ١٣٢٤ هـ رثاه بمرثية طويلة مطلعها :

عز العزاء ونهر دمعي ماهدا عن جريه لأفول شمس الإهتدا

ومن أشياخه الحبيب الجليل البركة : عيدروس بن عمر الحبشي- المتوفى سنة ١٣١٦ هـ' أخذ عنه أخذاً تاما ، وتلقى عنه تلقيا كاملا ، وأجازه إجازات تامة . ولما توفى رثاه بمرثاته الطويلة التي مطلعها :

وكز الهوى شجن من الأشجان لما مضى ثلثا ربيع الثاني

وأكثر الأخذ والقرآءة في علم النحو خاصة على الشيخ النحوي الفهامة ، المتلقي النحو من شيخه الحبيب علي بن محمد المذكور محمد بن سعيد باطويح ؛ أخذ عنه المترجم له أخذا تاما في ذلك ، حتى أنه ذكر لنا مرارا بأنه كان أعلم أهل عصره بحضرموت في النحو ، وأن كان يحب المترجم له محبة تامة ، ويجتهد في العبائر وتكريرها ليفهمها ، وحتى أنه إذا شغله عذر عن الحضور لدرسه فيزوره إلى بيته مع الطلبة خشية أن يفوته الدرس لشدة اعتنائه به ويقول : ياشيخنا إن لم تزرنا زرناك ، فكان المترجم له من

توجد صفحتين مفقودتين من الأصل

من السابق ابن السابقين إلى العـلا | من العارف ابن العارفين بمايحـوي
أتاني من القلب النطيف مـن الأذى | على رونق الخط البجيل من الحبر
فهيج أشواقا وأظهر مضـــــمرا | وجدد شيئا كان في داخل الصـدر
فيالك من نظم كأن سطــــوره | وأجزائه الغراء تقطف من زهــر
سرى ناظري في طيه بعد نشـره | فأصبح ذا حمد عليه وذا شكــر
كلام كأحلى ما عهدت من الجـنا | وإن شئت قل خمرا حلال بلا نكر
ولاعيب فيه غير مدحي فإنـــني | لأدرا بما عندي من النفــع والضر
ولست بذي وصف جميل ولاحمى | ولست بذي حال تقابل بالــــذكر
ولست بذي شان ولست بذي هدى | ولكن حسن الظن واسطة الأمــر
وإن ثم شيء فهو من محض جودكم | عليّ فأنتم للورى منبع الخـــير

****

فيابن ابن علوي الذي حسنت به | العلوم ومنه السر في قومه يسري
فكم قد كرعنا من مناهل علـــمه | قرآءة ضبط في زها كتبٍ عشــر
سمعنا عليه العلم في الزمن الذــي | مضى بليال كلها ليلة القـــــدر
ومنه إجازات لنا ومحـــــبة | وإذن وإقبال لدى السر والجــهر
فلازالت الأمطار من فضل ربه | تصب على مثواه صَبًا مدى الدهر

إلى آخرها كما هي مثبوتة بديوانه .

وأخذ عن السيد العظيم البركة احمد بن حسن العطاس ، ولما وصل إلى سيوون في : ٨ صفر سنة ١٣٣٤ هـ امتدحه بقصيدة طويلة مطلعها :

سرورٌ فتحُ باب الإجتماع | مع تاج الكمال بلا نزاع

وأنشدها المترجم له الوالد في المحفل العظيم الواقع في **( عَلَمْ بَدِرْ )** محل السيد العلامة مفتي حضرموت شيخنا الوجيه : عبد الرحمن بن عبيد الله ، ولقد سمعت أنا في ذلك المحفل إنشادها ، ومازال في أذني يرن صوت الوالد حتى الآن ، ولما وصل إلى قوله فيها حال الإنشاد :

وناظمها المحب أبوكثير　　　له أربٌ ولست بذي امتناع

ومحض دعائك المقبول فيه　　　لنا البشرى وكل الإنتفاع

أجابه السيد احمد بقوله : حصل الأرب لكم بحمد الله ، ودعا له بدعوات حسنة جامعة ، ولما توفى في : ٦ رجب سنة ١٣٣٤ هـ رثاه بقصيدة مطلعها :

هو القضا العدل فارفع بالقضا راسا　　　واغنم من العمر أفكارا وأنفاسا

إلى آخرها . وأخذ عن السيد العلامة : هادي بن حسن بن عبد الرحمن السقاف وأكثر عليه الأخذ في الفقه ، قرأ عليه كتبا عديدة ، وكانت له بسبب ذلك كرامة كما ذكرها لنا المترجم له مرارا ، وذلك أنه كان يأتي إلى بيته للقرآءة عليه قبل الفجر ، ثم إنه في ليلة من الليالي أخذته النومة عن وقت القرآءة حتى أن الحبيب هادي المذكور بقي منتظره في الوقت فلم يجئ ، فلم يدري المترجم له إلا بدكة في الخلفة ( النافذة ) الني هو نائم حولها في البيت ، فقام من نومه منتبها ، وتذكر الموعد للقرآءة وذهب إلى بيت أستاذه المذكور ، فلما وصل إليه قال له : وصلك الرسول ؟ فقال له نعم ما انتبهت إلا بصوت القرع على الخلفة ، فقال : ذاك طائراً أرسلناه إليك لما تباطيت عن الإتيان وأخذتك الغمضة . وقد أشار إلى ذلك في مرثاته المترجم له في أستاذه الحبيب هادي المذكور وذلك لما توفى سنة ١٣٢٩ هـ مطلع المرثاة :

أياعين جودي واجعلي الدمع داميا　　　نجيعا على من يعبد الله خاليا

بقوله :

تذكرت سراً للحبيب رأيته　　　بعيني بدالي في دجى الليل ساريا

فأرقني ذاك التذكر بعـد ما قضى بالقضا من جل في الكون قاضيا

وقـد كان إنشـاء هـذه القصيدة والنـاظم أسـير بيته لمـرض رمـد بعينيـه ، وتوفى المرثي وهو موجع العينين ، فأرسل الناظم أخوه الشيخ الفاضل : احمد بـن محمد باكثير ابنه الأديب اللبيب الكاتب عبد القادر يخبر بأن أستاذه المذكور تـوفى ويقـول له سوِّ ( إعمـل ) مـرثاة في شـيخك الحبيـب هـادي ، فـأملأ عليـه هـذه القصيدة الطويلة التي تبلغ زهاء خمسة وأربعين بيتا المذكورة بطولها بديوان الناظم ، وفي آخرها أشار إلى ذلك بقوله :

وأخلف على أولاد سيدنا الذي بغيبته أوهى القوى والقـوافيـا

ولاسيما هذا الرثـاء الـذي أتى مع رَمدِ العينين إذ جال عاديا

ولكنما الميسور ليس بسـاقــط وإني لأرجو بالدعاء الشفا ليا

وأخذ عن الحبيب الجليل المفضال الصالح : جعفر بن عبد الرحمن بـن علي السقاف المتوفى في : ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٣٦ هـ ورثاه بمرثاة مطلعها :

أيام دنياك الطِوال قِصارُ وهي التي تفنى بها الأعمار

وأخذ عن الحبيب الزاهد الورع الكامل العـالم : محمـد بـن حامـد بـن عمـر السقاف أخذا تاما في الفقه والتصوف والفلك وغير ذلك ، ولمـا تـوفى في : ١٣ الحجة سنة ١٣٣٨ هـ في مكة المكرمة حاجا ، ولما وصل خبر وفاته إلى سـيوون رثاه بقصيدة طويلة أولها :

إذا ماكساني الدهر من صفوه بُردا

تمزق من هدم المنون لنا طـودا

وقد ترجم للمترجم له المؤرخ الأستاذ السيد عبد الله بـن محمـد بـن حامـد السقاف في تاريخه ( **الشعراء الحضرميين** ) وذكر المرثاة المذكورة بطولها ، غير أنـه أبدل الشطر في البيت هكذا :

فقد هدمت أيدي المنون لنا طودا

وكأنه لم يفهم البيت من جهة النحو ، لأن هَدْم وصل هَدَم ، وهو يعمل عمل فعله ، وطود بفتح الدال مفعوله كما لايخفى ، وليس بِدعاً من صنيع المؤرخ في هذا فقط ، فقد اطلعت على كثير من الأشعار في تاريخه المذكور فوجدتها محرفة ومبدلة بغيرها ، فالرجل يتصرف فيما أراد على مقتضى معرفته وفهمه ، لاعلى الواقع الحق كما يظهر للمطلع على التاريخ الخبير .

وذكر الناظم في تلك المرثية لما أشار إلى ذكر أولاد المرثي ابنه السيد عبد الله المذكور بقوله فيها :

وسرك في أولادك الغر سائر — ولاسيما البر العفيف الذي حدا

فأدرك من كل العلوم فنونها — وأحكم في إدراكها الختم والمبدا

متى تجمع الأيام بيني وبينه — فأجدر أن نجني الفرائد والرشدا

ونقطف من زهر المعارف مابه — حياة فؤادينا فننتشق الندا

ولما اطلع السيد عبد الله المذكور على هذه القصيدة أجاب الوالد بقصيدة طويلة مطلعها :

حياك من مرعى نظير — وسقاك منهمر غزير

ولم يبق في ذاكرتي منها إلا هذا المطلع ، وإن شاء الله نتحصل عليها فنذكرها بأجمعها .

وأخذ عن السيد المفضال ، الولي الصالح : عبد القادر بن احمد بن قطبان ، ولما توفى سنة ١٣٣٠ هـ رثاه بمرثية طويلة مطلعها :

مابال دمعك في المحاجر قد جرى — أبحادث منه الفؤاد تفطرا

إلى آخرها .

وأخذ عن الحبيب العلامة المتفنن : شيخان بن محمد الحبشي ، والحبيب العلامة المتفنن الشهير : احمد بن أبي بكر بن سميط نزيل زنجبار ، المتوفى سنة ١٣٤٣ هـ ولما وصل خبر وفاته إلى حضرموت رثاه بمرثية مطلعها :

لاتعتب الأيام فيما قد جرى　　فالله ماضٍ ماقضاه وقدرا

وأخذ عنه لما خرج إلى حضرموت سنة ١٣٢٥ هـ ونزل شبام ، وسار المترجم له يرحب به مع كثير من أدباء سيوون وعلمائها ، منهم السيد الجليل الشاعر الكبير ، والخطيب الشهير : عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف ، فأنشداه قصائدهم وتهانيهم فيه ، وأجازهم الإجازات الفخمة كما ذكراها لنا مرارا عديدة ، مطلع قصيدة الوالد :

ثغر الزمان بيمن عودك أسفرا　　بيض الضواحك بالمسرة للورى

فشبام يهناها قدومك سالما　　ولطالما اشتاقت لقربك أعصرا

إلى آخرها وهو طويلة . ومن هنا كان ولد السيد احمد المذكور السيد الفاضل العلامة : عمر بن احمد متصلا بالمترجم له ، فتلقى عنه العلم ، وأخذ عنه أخذا تاما ، ولما وصل إلى حضرموت في أواخر شهر جماد أول سنة ١٣٣٩ هـ هنأه المترجم له الوالد بقصيدة مطلعها :

لتهن القطر خيرات وساع　　يسر بها فقد قدم الشجاع

إلى آخرها ، وقد ذكرها السيد عمر المذكور في رحلته المطبوعة المسماة ( **تلبية الصوت في الحجاز وحضرموت** ) ولما وصل إلى حضرموت السيد عمر المذكور تفضل عليَّ بوصوله إلى بيتي مع كثير من الواصلين معه ومن سيوون ، ولما اغتصت بهم المنازل في البيت قمت وأنشدته تهنيئتي بقدومه التي أولها :

إن تسلني عن جالبات الهناءِ　　وبما نابني غداة اللقاءِ

وقد أوردها السيد عمر بن احمد المذكور في رحلته المذكورة .

وأخذ المترجم له عن الحبيب العلامة السيد الشهير ، صاحب الفتاوى المشهورة ، السيد عبد الرحمن بن محمد المشهور ، والشيخ الفاضل العالم سعيد بن عيسى العمودي ، والشيخ الفاضل محمد بن محمد بارجا وأخيه الشيخ الفاضل احمد بن محمد بارجا ، وغيرهم من العلماء الأعلام .

وبالجملة فمشائخه كثيرون لانطيل بذكرهم هذا المجموع ولكنا ذكرنا المشهورين منهم .

وقد ابتدأ المترجم له في تصنيف كتاب يحتوي على تراجم مشائخه سماه ( **حب الغمام في ترجمة المشائخ الكرام** ) ولم يتم ، فبقيت لدينا منه كراريس ، لقد حجزه عنه ذهاب نظره ، فأمسك القلم عن الكتابة في ذلك الكتاب ، واشتغل بنفسه وخويصته ، ولازم البروز للناس الآخذين عنه في علومه الفياضة ، ووقف نفسه للإفادة متفرغا للعبادة في زاوية مسجد الشيخ قيدان بن عبد الله باكثير ، يتلقى عنه الناس فنون العلوم فقها ونحوا وصرفا وأدبا وتفسيرا وتصوفا ومعاني وبيان وعروضا ومنطقا وغير ذلك ، حتى وافته المنية وهو في تلك الزاوية بين الكتب والقرأ والطالبين ، كما أشرت إلى ذلك في مرثاتي فيه :

| | |
|---|---|
| كَمِنتْ له الأحداث في محرابـهِ | في عزلة التعليم والعرفان |
| أودي حيال الكتب مرخ جنبه | بشماله الكتب وبالأيمـان |

## ذكر أصحابه وأقرانه في الطلب وبعض الآخذين عليه المشهورين الأذكياء الأعلام وما حصل له معهم من ملاطفات ومجاوبات ومعاتبات وغير ذلك

فلنذكر أولا الذين حصلت بينه وبينهم الأخوة التامة والمحبة القوية والطلب الكامل ، منهم السيد العلامة الفهامة القاضي الأمثل : عبد الله بن حسين بن محسن السقاف ، والسيد الفقيه العلامة مفتي سربايه والمتوفى فيها سنة ١٣٣٩ هـ سقاف بن علوي بن محسن السقاف ، والشيخ الفقيه الصوفي الورع ، والزاهد الكامل : عمر بن عبيد حسان ، لقد اطلعت على كراسته تحتوي على فوائد شتى بخط السيد عبد الله بن حسين المذكور وجدت فيها مضمون لعقد الأخوة بين هؤلاء المذكورين والمترجم له من السيد الإمام العلامة عيدروس بن عمر الحبشي- مؤرخ بيوم الأحد لست بقين من ربيع الثاني سنة ١٣١٠ هـ وقد أشار الوالد المترجم له إلى ذلك في مرثاته في السيد سقاف بن علوي المذكور وإلى عقدها أيضا بين المذكورين ، والسيد العارف بالله عبيد الله بن محسن السقاف ، فقال :

| | |
|---|---|
| كُنَابه والعيش غض ناعـــــم | في العلم أربعة تسابق في سرى |
| نمشي على قدم المساعدة التي | كانت لمن رام الإجادة مصـــدرا |
| عقد الأخوة بيننا علم الهدى | أستاذنا قطب الوجود بلا مـرا |
| الفخر أعني عيدروسا ذا التقى | والفضل والمجد المؤثل والقِـــرا |
| والسيد السند الجليل الكـــا | مل المفضال والمشهور في كل القرى |
| أعني العفيف أبا الوجيه ومن له | في روع أرباب الهدى نور جرى |
| قطر الندى في مستطاب جموعنا | حتى عرانا بالتفرق ماعـــــرى |

ومن هنا كان بين المترجم له وبين السيد عبد الله بن حسين المذكور مودة كبيرة ، ومحبة خالصة ، ولم يزالا في اتصال والتئام على بساط العلم والفائدة في حل مشكلة وتفهم مسئلة علمية ومذاكرة مفيدة ، حتى أنهما خصصا يوما معلوما للإجتماع الخاص بينهم في الفقه هما والشيخ الفقيه عمر بن عبيد حسان ، والشيخ

الفقيه محفوظ بن بكران حسان ، وغيرهم من فقهاء البلد ، وذلك يوم كل أحد من الأسبوع بعد مدرس الأحد في مسجد طه يذهبون إلى بيت السيد عبد الله المذكوريقراؤن في المنهاج ويحضرون التحفة والنهاية وغيرها .

وممن حصلت بينه وبين المترجم له من رابطة المحبة والوداد التام ، والمحادثات الفقهية والأدبية ، والمحاورات والمجاوبات ، السيد النجيب، العلامة الشاعر الكبير ، والخطيب الشهير ، شيخنا المرحوم عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف ، وكان المترجم له معجبا به كثير الإعجاب ، وكان لديه من أجل الأحباب والأصحاب ، المولعين بعلمه وفهمه وثقافته قديما وحديثا ، وتجد ديوانه متكررا بذكره ومدحه وتبجيله ، ومما حصل بينهما وقد طلبه السيد عبد الرحمن للخروج إلى بيته ( **بعلم بدر** ) بسيوون ليلا للإيناس به لأن عنده أضيافا ثقالا ليخفف له بعض ذلك :

ماستطعت اخرج لوحدي          والليل أسود داجي
فإن أردت خـــــروجي          فابعث خفيراً فناجي

ولما وصلته تلكما البيتان أجابه بجواب مضمونه أن الأضياف الثقلاء قد ذهبوا لطلب من بعض الناس أتاهم فكفيت شرهم ، فأنشد المترجم له بيتين آخرين له هما :

جزى الله فلانا كل خير          كفانا شر مجتمع الثـقال
وجدنا راحة لما تـــولوا          لأن دمائهم مثل الجبال

ومما وجدت من ذلك في ديوان المترجم له قال فيه مانصه :

وأرسل إلينا السيد العلامة الوجيه عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف لما فقدنا في ختم القرآن العظيم ليلة ١١ رمضان سنة ١٣٣٥ هـ في مسجد الحبيب طه بن عمر وذلك لمرض لنا ولم يكن يقرأ في ذلك الختم خطبة السيد عبد الرحمن

غيرنا : صديقنا المخلص ومحبنا الحميم : الشيخ محمد بن محمد باكثير ، متع الله بحياته في عافية آمين .

مضى زم،ان لم نرك | إلى العلا في المعـترك
فأي شي أخَّـــرك | أثمَّ ضعف أســـرك
وما أظن الوِدَّ رك | والشيخ للدهر عرك

وللخطوب قد فرك

إلى آخر ماذكره . فكتبنا له من بحره وقافيته :

ياسيداً ما أبـــــدرك | إلى العلا في المعـترك
جل الذي قد أقـدرك | لما سواك قد تـرك
من كل فضل مشترك | مابين أرباب الـدرك
ذكرت تركي مسـمـرك | وترك سردي غررك
وذا لأني في شـــــرك | من مرض لانظـرك
ولا أتى من حضــرك | فادع الذي قد آثرك
بالعلم يشفي من بـرك | ومن عليه العود رك
والـود بـاقٍ ماحـترك | بل في عميقات البرك
ودم مفيــضا دُرَرَك | فلا فقدنا مظـهرك

ومما ذكر لي الوالد المترجم له أنها مرت بهما في حال قرآتهما مع السـيد عبد الرحمن المـذكور فائـدة في بعـض الكتـب وهي أن شـفاء العاطس أن يمسـك أنفه ويفتح فاه حال العُطاس ، فاقترح أحدهما نظم ذلك في بيت واحد ، فقـال السـيد عبد الرحمن :

من العُطاس أن ترد شفاكا | فاقبض على أنفك وافتح فاكا

وقال المترجم له :

إن تقبض الأنف وتفتح الفما | تكفى أذيَّةِ العُطـــاسِ فاعلما

وقد ذكر المترجم له السيد عبد الرحمن بن عبيد الله المذكور في خطبة ديوانه المطبوع هذه الأيام ، فقال : نعم أفادني الشيخ محمد بن محمد باكثير في الشعر جليل فوائد ، وذكر قصيدة فيه امتدح بها الوالد المترجم له ، وذكر اعتذاره عن التأخر عن بعض القرآءة عليه في أيام صباه وذلك في حدود سنة ١٣١٧ هـ مطلعها :

عَلامَ أطلت اللوم والعتب والصدا ... ولم آت ذنبا في هواك ولاحدا

إلى أن قال في التخلص إلى المدح المقصود :

إذا انحرفت عيني وشيخي محمد ... فلاغرو إن ذابت إذن مهجتي وجدا

حكيم بحل المشكلات بفهمه ... ويجلو بأنوار المعارف ماسودا

له هِممٌ نحو المعالي سريعة ... تسابق في ميطانها النُجب الجردا

على أفق العلياء لما امتطى فيها ... الجلاد وفي تشميره أفرغ الجهدا

تضامن صميم المجد سيفا مهندا ... على كل صفح منه سنَّ له حدا

من الكتب سلواه ومنها غذاؤه ... متى حضرته لايجوع ولايصدا

إلى آخرها .

وممن حصل له التلقي والقرآءة التامة في الفقه والنحو والأدب من المترجم له ، السيد الأديب العلامة عبد الرحمن بن محمد بن طه السقاف ، وكان ممن تأكدت بينهما روابط المحبة التامة بمحض رجوى المترجم له ، وذلك لما أرسل له هذه الأبيات في فاتحة جماد الأول سنة ١٣٣٦ هـ معاتبا له لترك المجيء إلى القرآءة :

عن المفتي سلوا لي ابن طه ... وذاك عن القرآءة قد تواها

فهل لتكاسل أوبعض شغل ... وبعض قرآءة أخرى سواها

فيا سقاف قل لأخيك ماذا ... تقول لقصة فاكشف غطاها

أتهمل أوتدوم دوام جد ... فقل لي أية الحالين شاها

فما بال الوجيه أطال عهدا ... لعل لنية أخرى نواها

ولي عهد به في النحو أخـذٌ هل استكفى بها لما تـناهى
ولي أيضا به عهـد لفهـــم وحظ لايدانى أويضـاهـــا
وما عاتبـــــــته إلا لأني عهدت غاية أرجو بقاهـــا
أبن لي أي حالٍ حالَ بيـني وبين أخيك نلت عُلاً وجاها
وماذاكــــــــرته إلا لأني عهدت صفات خير قد حواها
وهات جـــوابه نظما وسلم عليه تحية عـطر شذاهـــا

فأجاب رحمه الله من بحره وقافيته :

خليلي أقصدا ربعا رعاهـا إمام في المعارف قد تـنـــاهى
رقى أوج المعالي باجـتهاد وحل من الحقـيقة في ذراهـا
تفنن في العلوم فنال مجداً فما من رتبة إلا عـلاهـــــا
يسامر في الدجى الأسفار حتى تنوح الورق صبحا في رباهـا
كذاك القوم تسعى في الدياجي وعند صباحها حمدت سراهـا
قِفا في منزل عال حوى من بجد واجتهاد لايضـاهـــــا
وقولا در نظمكمو أتانـــا وفيه من النصيحة منتهاهـــا
وذاك لطول عهد كان مني وأعذاري المهيمن قد طواهـــا
ولست بصادق إن لم أزركم بتاخيري سأخبركم شفاهـــــا
فظني فيكمُ أبدا جـمـيلٌ وحاجاتي إليكم مشتكاهــــا
ولي أمل بصفو الوقت حتى تعود لنا المسرة في حلاهـــا
وكاسات العلوم تدار مابيـ ـننا والعين تلقى مشتهاهـــا
علوم النحو والآداب جمعا وتلك مناي لا أبغي سواهـــا
وإن الحاسد الثاني عليـه غيوم الهم قد مدت غطاهـا
فلا زلتم تفيدونا علومـا بكم أفهامنا يبدو سناهـــــا
لكل شواغل الدنيا تركـتم تجردتم لما يرضي الإلــهــــا

ليالي الأنس والأفراح عودي بجاه المرتضى والطهر طاهـــا
عليه صلاة مــولانا وآلٍ وصحبٍ من علوا عـزاً وجاهـا

*****

ومن حصلت بينه وبين المترجم له من مذاكرات ومساجلات علمية ، وأبيات شعرية ، الشيخ الفاضل العلامة الأديب : محمد بن عوض بافضل ، منها أنه لما وصل إلى سيوون لطلب إدارة مدرسة النهضة منه أن يعلم قسما خصص للتعليم في رسم الخط وتحسينه ، ووصل والمترجم له مريضا في البيت ، وبعد أن زاره خرج من عنده إلى المدرسة ، فأملأ على التلاميذ بيتين هما :

ياربنا بالمصطفى البشير عافِ محمداً أباكثـــير
ورَقهِ إلى المقام العالي مثل أبي حامدٍ الغزالي

ومنها ماكتبه على طرة بعض الكتب المطبوعة وأهداه إليه هذا البيت ، وهو كتاب المهذب لأبي اسحق الشيرازي :

يهدى ويرسل ذاا لكتاب المستنير لمحمد ابن محمد بن أبي كثير

ومنها ماكتب إليه في بعض المكاتبات بقوله : حضرة العالم العلامة الأخص ، المقدم على أقرانه تقدم القياس على النص . إلخ . فاتضح للوالد أنه حصل معه بعض غلط فأجابه بكتاب : حضرة الأديب الفاضل النبراس ، المقدم على أقرانه تقدم النص على القياس . إلخ . فأجابه بعد الخطاب للوالد :

لازلت طوداً في البلاد راسي مقدما مناره في الناس
تقدم النص على القياس

والغلط في ذلك واضح ، وذلك أن قدم القياس على النص ، والنص المقدم بالإتفاق .

ولما توفى الوالد بعث إلى الشيخ محمد المذكور بمرثاة فريدة ستذكرها بطولها في الفصل المخصص للمراثي .

ومما قاله المترجم له مسائلا عنه أصحابه والمتقربين إليه بالطلب في العلوم هذه الأبيات :

ألا فاخبروني عن معانٍ تواترت علىَّ بهذا البيت يامن له ضبطُ

وحرف كنون تحت راءٍ ولم يكن بدال يؤم الرسم غيره النقط

أجيبوا بنظم رائث كافل بما أؤمل والإيجاز يقبل والبسطُ

ومن زعموا في البيت زعما فإنما تبين لي أن الذي زعموا خبطُ

فأجابه السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف من البحر والقافية بقوله :

جوابك أن الحرف وضاء ضامر بإرفالها في البيد يستهجن الخطُ

يروعها صب ينفح سحرها وراء مجاز عنه يامن له ضبطُ

وليس شفيقا بل يحتمها النوى وإن أصبحت من شوطها الإبن يختطُ

يؤم بها دارا محى حسنها البلا وغيره ماء السماء وذا النقطُ

وأحاب السيد علوي بن عبد الله السقاف بقوله من البحر والقافية :

جوابك أن الحرف في البيت ناقة تشبه نونا وهو معنى له ضبطُ

هزال وكانت تحت شخص مؤلم لهادئة ضربا ولم يرفقن قطُ

ولم يك دلا أي ضعيفا لمشيه ويقصد رسما للأحبة به يخطُ

وغيره نقط من القطر نازل فخذه جوابا ليس زعما به خبطُ

وأجاب السيد عمر بن سقاف بن عبد الله السقاف بقوله :

طلبت جواب البيت ياشيخنا فخذ جوابك يامن دأبه العلم والبسطُ

وحرف فإن الحرف اسم لناقة وتشبه نونا من هزال فذا ضبطُ

وراكبها من فوقها ضارب لها يجشمها الأخطار آلمها السوطُ

كذا لم يكن دالا ومعناه مشفق    يريد بها أرضا بها الودق منحطُ

وأجاب السيد عبد الرحمن بن محمد بن طه السقاف بقوله :

أياطالبا مني جـوابا لما بـــه    أتى بيت شعر حفه الحسن والضبطُ
فما الحرف إلا ناقة لإنحنائهــا    تشبه بالنون التي زانها الخـطُ
وراكبها من شوقه صار ضاربـا    لها رثة إذ لم تسر مسها الخبـطُ
وكانت هزيلا وهو راء ولم يكن    بدال شفيقا لم يرق لها قـــطُ
ويقصد رسما للأحبة قد عفى    وغيره نقط من القطر منحـطُ

وممن اتصل بالمترجم له واصطحب به صحبة تامة ، وعلاقة عظيمة ، حتى كانا هما شاعرا سيوون المبرزين في المحافل والمجامع بأشعارهما المعروفة في المجتمع ، السيد سقاف بن عبد الله بن عمر السقاف ، ويوجد ديوان المترجم له طافحا بذكره وبالمجاوبات الشعرية بينهما ، منها هذه القصيدة وأرسلها المترجم له إلى جاوه طيلة إقامته بها متشوقا إليه :

لما نأيتم صبا فـؤادي    شوقا وقد عرد الرقود
متى يكـون اللقـا إني    أقول هذا النوى كوود
متى يصير البعاد قربـا    وينسخ الغيبة الشهود
رعيا لأيامنا المـواضي    وليت حينا مضى يعود
قد أثر البعد في فؤادي    جوى فهل أنتم جمود
إن كان هذا فويح صب    صبا وأحـبابه رقـــود
صبري تلاشى فلا تطيلوا    بعدا فياحبـذا الورود
وجوه قرب الحبيب بيض    أما وجوه النوى فسود
حبيب قلبي حللت فيه    والنار فيه لها وقـــود
تجاور النار في فـؤادي    وطيفها الوصل لو تجود
دع عنك واشٍ سعى بسوء    فإنه الأحـمق الحسود

والعاذلين الذين وشـوا لاشك في أنهم قـرود
حمل الهوى في الأمور صعب وللعزا طالع السعـود
إن مت من سيف قطع ليلى فالعـفو يارب يـاودود
ولي حبيب له صفات تقصر عن نيلها الأسود
طابت به صحبتي وفاقت على أجادات من يجود
ندب شريف كريم أصل وعنده حكمة وجــود
والعلم والحلم والتـــزام الذي تسامت به الجـدود
والقول والفعل في المواضي ولبسه في التـقى برود
أخباره بالكمال فاضت وعرفها مندل وعـود
له قريض يقـال فـيـه ما القد ما الجيد ماالخدود
عبارة عبرت بجـــــال عال به سيدي يســود
ياسيدا قد بلغت شأواً من العلى والورى شهـود
لازلت سقاف والمعالي إليك غايتها تعـــــود
كأنها في يديك بكــر لها زمام به تقـــود
دم سالما طيـبا أمينـا في كل ما حمله يئـود
وضاق من يحسدوك ذرعا وبالردى والعذاب نودوا
ولان صعب الأمور طوعا لأمر علياك ياعمـود
وللتداني يحــن قلــبي شوقا كما حنت الرعود
عيل اصطباري والدمع جاري حتى متى البين والصدود
الله يطوي ظلام بعدي وكم له في العباد جـود
وسق جوابي إن الجوى بي لايلهك الدين والنقود

فأجابه السـيد سـقاف المـذكور مـن البحـر والقافية :

دنا إلى نحوك الورود  قربي فشوقي لكم يزيد

إن كنت تشتاق يامحبي  قربي فشوقي لكم يزيد

قطعت في حبكم زماني  أبدي به ، وبه أعـيد

أهيم بالحب بين جندي  وجدا وقلبي بكم عميد

كتمت بين الورى غرامي  حتى وهى صبري الجلـيد

بليت بالبعد بين صحبي  ولست ممن لـه يريـد

قضى القضا بالذي أعاني  فالريح بالبعد لاتفـيد

فليت شعري متى التلاقي  بكم وينجو الفتى البعيد

مضى زماني على الترجي  لعل يطفي به الوقـود

ولفح نار الهوى شديد  وماله غـيركم بـــرود

أصبحت بين الأنام فردا  فكيف يهناالبقاء وحيد

إذا تذكرت وقت وصلي  بكم فذاك الزمان عيد

رعى إله الورى ليـالٍ  بها سمى الكهل والوليد

وكان منها بلوغ حـظ  وقد لهى العاذل الحسود

كأنها في جنان خـــلد  لولا بها لم يكن خلود

وكيف لا وهي قد تجلى  بها فتى في الورى مجيد

علا على البشر في علوٍ  وصدره طاب والورود

حوى بعلم فحاز مجـدا  فالمجد في ذاتـه عتـيد

فالدهر أمسى له نديما  والعالمون له عبـــيد

وشانه في الأنام عـالٍ  والطالعات له سعـود

مقاله في الكلام عذب  وكل فعل له سـديد

تكاثرت منه في البرايا  له هبات بدت تجـود

القطر أهلوه في ابتهاج  به فهم منه قد أفيدوا

فيا أخا المجد طال وجدي وكدت من بعدكم أبيد
فما على العظم غير جلد وما العظام وما الجلود
إن دمت عن حبكم بعيدا فالموت أيسر واللحود
ياليت شعري متى قدومي إلى الحمى ومتى أعود
لعل أن ينجلي عذابٌ بالقلب أورثه الصدود
أمني النفس والأماني إذا تحققتَ لاتفيد
الروح خلفتها لديكم وماسوى جسدي بعيد
أنتم أنا وأنا حسبي أنتم فأنى لنا نحيد
فاعجب لروحين ضمن شخص أيضا وشخصهما فريد
قلوب إمتزجت بحبٍ والود مابينهم أكيد
لاتخشى طول النوى علينا مابيننا صحت العهود
فكيف ننساك والليالي بكم تضيئ وهن سود
وكل وقت مضى علينا في الوصل فهو لدي عيد
لله لله مارأينا فالعيش في حسنه رغيد
به بلغنا المرام حتى سما به الشيخ والمريد
بالله يامن ثوى بقلبي هل الليالي لنا تعود
توجهوا في الدعا وخصوا فتى معنى بكم وعودوا
فالعمر قد مر في التنائي عنكم وحبلي بكم شديد
وإن جسمي وهى وسقمي بدا وضعفي بذا تهيد
وحركت لاعجات شوقي أبياتك الغر والنشيد
كأنها الدر في انتظام أو أنها الجوهر النضيد
بلفظك العذب قد تباهت لا بالغريب الذي تريد
هذا جوابي لازلت فردا واعذر فإني إذاً بليد

أنى يساوي الذكي فدمٌ　　لايستوي التبر والحديد

شتان بين قرين علم　　وبين من همه النقود

لازلت في كسبك المعالي　　لكل شاردة تصـــيد

ورمت ملجا لكل راجٍ　　ما كرّ بين الورى جديد

*****

وقال المترجم له معاتبا ابن أخيه الأديب الشاعر : علي بن احمد باكثير لتأخره عن القرآءة عليه :

لأي معنى يافـــتى　　قطعت ماتقرأ علي

لقصر باعي عنك أو　　قطعته لغـــير شي

يابن أخي خذ مامعي　　مغتنما مادمت حي

فأجابه إرتجالا وأبان عذره بقوله :

لغير شي غـــير أني　　أشتكي مـن قَدمي

ولما قدح عينيه ( ( أي نقش ) واحتجب عن الناس لذلك اعتذر إليه على عدم دخوله عليه الأخ الأديب علي بن احمد باكثير المذكور ، وهناه بقدوم المولودين حفيده وسبطه وهما ولد جامع هذا احمد وعبد القادر بن صالح باكثير ابن بنته بقوله هذه الأبيات :

يا أيها العم الجليل حباك ربك بالشفاء

وأعاد طرفك للدروس تنيرهن من الخفاء

يهنيك مولودان يأتلقان في أوج العلاء

أتياك سبطك والحفيد يبشرانك بالنماء

من دوحة محمودة في الدين والدنيا سواء

الأصل فيها ثابت والفرع فيها في السماء

ستراهما آمين رب بجاه خير الأنبـــياء

ولئن حجبت فما رأيت فعن قـريب أنت رائي

واعذر بنيك إن تأخر عن مواصلة اللقـاء

حذرا عليك من التضرر بالكلام أوالكباء

لو لم يخف سوءاً لعادك بالصباح وبالمسـاء

******

## ذكر بعض أخلاقه رحمه الله تعالى

كان عليه الرحمة والرضوان ، رحيما بالقريب والبعيد ، شفيقا متحننا ناصحا لكل إنسان ، ذاكرا من أسدى إليه معروفا مكافئا له ، أولمن يولي إليه ، قابلا لعذر من اعتذر إليه ، صادعا بالحق وقائلابه ، ناطقا بالصدق على من كان ولمن كان وربما فيه مايضر به كما قال أبو الطيب المتنبي :

القائل الصدق فيه مايضر به          والواحد الحالتين السر والعلن

ذا نفسٍ أبية ، وأخلاق مرضية ، وإذا حصلت له بادرة غَضَب أوجِدةٍ على أحد كان سريع الرجوع إليه والرضا عنه ، من ذلك ماوقع له في تشاجر بينه وبين أخيه العم الفاضل الجليل احمد بن محمد باكثير ، وذلك وقت عمارة مسجد الشيخ قيدان ، وحصل الإختلاف في عمارة **( المغمس )** أن صاحب العمارة وهو العم احمد أحب أن يعمر كذا والمترجم له يقول كذا أولى أن يعمر ، فحصل بينهما التشاجر وكادا يتضاربان ، فخرج القراء والطلبة الذين يقرؤن على المترجم له في زاوية المسجد وردعوهما . فما كان من المترجم له بعد أن خرج القراء وذهب إلى بيته لتناول طعام الغداء والإستراحة ، إلا أن جلس مفكرا فيما حصل بينه وبين أخيه من تشاجر ، وقرر أن يبادر يالذهاب إلى بيته قبيل صلاة الظهر فينطرح عليه راجعا عما جرى من كلام ومخالفة ، ثم إن أخاه العم احمد جرى له مثل ماجرى لصاحب الترجمة وأنه يبادر إلى أخيه بالرجوع عما جرى بينه وبين أخيه ، فلم يكن من الأخوين إلا أن يتوافقا في ناصفة الطريق ويتلاقيا ، فيسأل أحدهما الآخر أين تريد ؟ قال أريد عندك لأزيل ماجرى بيننا من تشاجر واختلاف ، فقال له الآخر : وأنا كذلك ماخرجت من البيت إلا لهذا فما كان من الإثنين إلا أن تصافحا وتسامحا واحتمل كل منهما الآخر وأنه هو المخطئ ، وذهبا معاً لصلاة الظهر في المسجد كالعادة وتسامحا ، وكأن لم يكن بينهما شيء .

وكان رحمه الله زاهدا عما في أيدي الناس ، ناظرا إلى ما أغناه الله به عنهم ، يحب العلماء والطلبة والآخذين عنه يرى الحق لهم عليه لاله ، متبرعا عليهم بالتعليم ويود أن ينفق على المحتاج منهم ليتفرغ للقرآءة والتعليم بما يستطيع من المال ، وكان محسن إليهم كل الإحسان ، ويواسيهم بالحال والمال والمقال والفائدة ، ويفرح بمن يراه مُكبًّا على الطلب ولايتأنس إلا بالقرآءة وتلاوة الكتب النافعة ، وكثيرا مانسمعه يلهج بهذا البيت :

لم يبق شيء من الدنيا نُسرُّ به إلا الدفاتر فيها الشعر والسمرُ

وله هذين البيتين :

من كان ذا كِبرٍ وعَجبٍ مزعج لا أبتغيه إلى مطالعتي يجي

وأنا الذي أختار من أرجو له نفعا يلوح عليه أجعله يجي

وكان ممن يؤثر العجلة على الأناة ، وإذا أنشد له هذا البيت

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل

يقول أنا على خلاف ذلك أحب الإستعجال لأدرك الآمال قبل الفوات ، وأبغض الأناة لإلجائها إلى تفويت الحاجات ، وكم من مسوف عوقب بالحرمان وأصبح على التسويف والتأخير بزمان ، وكم من نفيس ضاع ، بالتسويف المطاع ، وكم من مسئلة نفيسة أضعناها بسبب الإمهال والإهمال وينشد :

وأكثر ويلي لو شفا الويل حاجة واكثر لهفي لوشفا غلة لهفي

وكان ذا جد واجتهاد في العلم لايدرك ، موزعا أوقاته كلها في الطلب ، حتى أنه حفظ متن الرحبية ليلة زفافه ، أول زواج له ، شغوفا بتقييد المسائل العلمية ، إن كانت تحتاج إلى نظم نظمها وأوردها في كتابه **( الفرائد في نظم الفوائد )** وإن كانت تحتاج إلى تقييد بالكتابة والنسخ أوردها إلى بعض مصنفاته في الفقه والنحو وغيرهما .

ومن نظر بعين الإنصاف إلى كثرة مصنفاته ورسائله وأشعاره عرف جده واجتهاده ومحبته للعلم والفائدة والنفع العام ، لأن الآثار هي الأثر الخالد والذكر الباقي ، فكم من رجل له ألف سنة من توفى وذكره باقٍ لم يفنى بل يزداد ذكراً ويكبر صدرا ، وكم من رجل حي وذكره ميت ، ولله در القائل :

يارُبَّ حي ميتٍ ذكره     وميت حيٌ بأذكاره

ليس بميت عند أهل النهى     من كان هذا بعض آثاره

والآثار هي الدالة على جلال الرجال وعظم اجتهادهم وعلو نبوغهم في العلوم على أبناء جنسهم :

تلك آثارنا تدل علينا     فانظروا بعدنا إلى الآثار

وكان رحمه الله من المعتنين بتقييد وفيات الأعيان ووقائعهم وماحصل لهم من وصفٍ حَسن ومزايا وأخلاق وغير ذلك ، أنظر إلى تاريخه اليومي المسمى بـ( **الشماريخ** ) تجده لايستغني عنه عالم طامح إلى التواريخ والوقائع ، ويحق أن يقال في المترجم له هذا البيت :

مازال يلهج بالتاريخ يذكره     حتى رأيناه في التاريخ مكتوبا

ويقرب منه هذا البيت للتهامي في مرثاته المشهورة :

بينا يرى الإنسان فيها مخبرا     حتى يرى خبرا من الأخبار

وكان رحمه الله متفننا في علوم شتى يرع فيها ، فقها ونحوا ومعاني وبيان ومنطقا وعروضا وأدبا ، وكان مائلا إليه ، يحب الأدب والأدباء والشعر ، يتروح بإنشاد القصائد والقطع ويرويه في مجالسه لتلاميذه وغيرهم ، فرحمه الله رحمة واسعة .

## ذكر مصنفاته وعددهن

كان رحمه الله ذا مصنفات كثيرة في علوم متفرقة .

**الأول** : مبتدأ العرب على متن الأجرومية في علم النحو ، وَضعَهُ للمبتدي ، أكثر فيه من الأعاريب التي لايستغني عنها مبتدي ولامنتهي ، سهل العبارة ظاهر المعاني .

**الثاني** : حاشية على قطر الندى سماها ( **عين الهدى** ) في النحو .

**الثالث** : سرور البال شرح تحفة الأطفال في التجويد .

**الرابع** : كفاية الواعي شرح منظومة السجاعي في الاشعارات .

**الخامس** : منظومة في ياءات الإضافة على قرآءة الإمام نافع ، شرحها الشيخ الفاضل عبد القادر بن محمد بارجا .

**السادس** : منظومة في خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، شرحها السيد الفاضل محمد بن عبدِ الله بن علي السقاف .

**السابع** : منظومة في مثلثات الأوائل ، مثل مصحف لم يسبق لمثلها ، ابتدأ في شرحها الأخ الأديب علي بن احمد باكثير .

**الثامن** : الفرائد في نظم الفوائد ، يحتوي على نظم مسائل فقهية ونحوية وغير ذلك ، لم يسبق لنظمها من قاعدة أوشروط أونحو ذلك .

**التاسع** : حاشية على تسهيل ابن مالك ، ختمها بخاتمة شعرية رجزية ، أولها : خاتمة أسأل ربي حسنها ، شرحها الفاضل المؤرخ السيد عبد الله بن محمد بن حامد السقاف ، وقد طبع ذلك الشرح وملأ الأرض من النسخ ، وانتشر في الناس وانتفع به كثيرا ، وأطنب حفظه فيه وزاد على المقصود ، وبسط كل البسط في الإستشهاد وغيره ، وقرضه كثير من علماء مكة إذ ذاك . والخاتمة المشار إليها في رسم الخط لأن ابن مالك ختم التسهيل به واستطرد عليه الناظم بذكر زيادات لم يذكرها المؤلف ابن مالك .

**العاشر** : حاشية على الأسيوطي على ألفية ابن مالك سماها ( الفوائد الحضرمية على شرح البهجة المرضية )

**الحادي عشر** : حاشية على تنبيه أبي اسحاق الشيرازي سماها ( جمع الترجيح والتوجيه لمسائل التنبيه ) يذكر فيها غالبا ترجيح الذي لم يذكره المؤلف من الأقوال وعلل المسائل .

**الثاني عشر** : رسالة نظم تحتوي على ذكر الرجال الذين ذكرهم الشيخ أبواسحاق الشيرازي في المهذب ، أولها :

الحمد لله الذي قد نشرا بالطبع شمس فقهنا والقمرا

فأقبل الناس على المهذب وهو لعمري من خيار الكتب

**الثالث عشر** : منظومة في علم العروض لطيفة انتفع بها كثير من الطلبة .

**الرابع عشر** : الإحراز في الألغاز ، شرح مختصرات الألغاز إذا ذكر لغزا في المعنى اتبعه بآخر في الإعراب ، وهكذا .

**الخامس عشر** : رسالة في علم الحساب على طريقة الجبر والمقابلة .

**السادس عشر** : تشييد المباني شرح كفاية المعاني للبيتوشي في أحرف المعاني ، ولم يكمل .

**السابع عشر** : شرح ملحة الإعراب سماه ( فتح الباب ) كتبه بإشارة شيخه البركة السيد احمد بن حسن العطاس .

**الثامن عشر** : البنان المشير إلى علماء وفضلاء آل أبي كثير ، في التاريخ والتراجم .

**التاسع عشر** : اليومي ، المسمى الشماريخ في بعض الفوائد والتواريخ ، كتب فيه من سنة ١٣٤٦ هـ إلى سنة ١٣٥٥ هـ التزم بالكتابة فيه يوميا .

**العشرون** : ديوانه الممتع ، الذي احتوى على التهاني والمراثي والمدائح والإجتماعات الشعرية وشكوى الزمان والمعاتبات والغزل وغير ذلك ، وهو شاهد

عدل على تفوقه في الشعر ونبوغه فيه ، وغزارة شاعريته ، يربو على نحو عشرين كراسة مرتب على حروف الهجاء .

وللمترجم له مصنفات أخرى ابتدأ فيها ولم تكمل ، مذكورة في البنان المشير عند ذكر كتب آل أبي كثير .

## ذكر توليه مرتبة القضاء بسيوون

وفي سنة ١٣٤٠ هـ توظف بوظيفة القضاء بسيوون هو والقضاة الأربعة وهم : السيد علوي بن عبد الله السقاف ، والسيد محمد بن حسين الجفري ، والشيخ عوض بن بكران الصبان ، والشيخ عبد الرحمن بن محمد بارجا ، فلم تمض نحو من ستة أشهر حتى خرج الجميع من القضاء ، لأسباب اعتراض من بعض أولي الأمر لما رأى أنهم لم يأتمروا بأمره بعدما كانت لهم شهرة عظيمة ، وهيبة كاملة ، تحركت بهم الشريعة بعد ركودها ، فلم يقدر الله لهم البقاء في المرتبة حتى خرجوا منها كارهين بعد مادخلوا مكرهين ، كما قال الشاعر :

دخلنا كارهين لها فلما ألفناها خرجنا مكرهينا

ثم بقيت البلاد برهة من الزمن خالية من قاضي ، حتى طلب والي الأمر المترجم له أن يتولى مرتبة القضاء فامتنع ، وألح عليه ثم تشفع على ذلك بأولي الوجاهة عليه فماكاد يرضى إلا بشروط كما هي مكتوبة وعليها إمضاء السلطان المنصور ابن غالب وابنه السلطان علي ، منها : أن الدولة ليس لها أي تدخل في كل قضية رفعت إليه ، ومنها أن يعطي جنودا يحضرون محل القضاء لعروض حادث أوتعنت خصم عن الحضور إلى المحكمة عن حق لزم عليه شرعا ، أولإسكات متكلم بما لايليق الكلام في المجلس ، أوغير ذلك من الشروط التي اشترط بها على السلطان ، وقد أشار إلى بعضها بقوله :

كلفوني بتكاليف القضا بين الخصوم

ماتوليت القضــا إلا لتنفيذ العلوم

وقوله في قصيدة أخرى :

وأيام تنفيذ الأمور احتملته ويلقي إذا مافل مضرته الغضب

ولما ولاه والي الأمر القضا طلب بمعيته تلميذيه السيد عمر ابن سقاف بن عبد الله السقاف ، والشيخ محمد بن مسعود بن احمد بارجا ، فأجاباه إلى

ماطلب ، فبقي الثلاثة في القضاء برهة من الزمن حتى اعتزم على السفر لحج بيت الله الحرام في : ٩ شوال سنة ١٣٤٥ هـ فبقي المترجم له في القضاء منفردا حتى اعتذر إلى والي الأمر بأن يقبل اعتذاره لأسباب كثيرة تعذره فلم يقبل الإعتذار بعد الإلحاح والتكرار ، فبقي يرد من أتى إليه من الخصوم وذوي الحاجات القضائية ويهرب منهم حتى كثرت الشكاوي عند السلطان في ذلك من رد المتنازعين وعدم الجلوس للقضاء ، وفي هذه المدة كانت قضية وهي كانت القاضية على القضاء ، وتلك القضية دعوى في مال كبير على رجل ذي وجاهة ورهط شديد ، فقام المترجم له مع الضد أشد القيام معززا للحق ومؤيدا للشريعة المطهرة لمَّا تقدم المدعي على ذلك الرجل صاحب المنعة والقوة ، فكان منه أنه لم يحضر مجلس القضاء لسماع الدعوى ، فما كان من المترجم له إلا أن يرسل له الجندي ليحضره إلى المجلس حتى أحضره ، فأجاب على الدعوى المقدمة ضده حتى طلب من المدعي ألك شهود بما تدعي ؟ فأحضرهم بحضور المدعي عليه ، ثم بعد اللازم شرعا حكم على المدعي المدعى به طبقا لشهادة الشهود ، ثم أمر المحكوم عليه أن يدفع المحكوم به ، فلم يكن منه إلا التأبي عن ذلك ، فأمر بسجنه حتى يسلم ذلك ، فقام والي الأمر بضده فأقفل محل الحكم بتاتا ولم يبرز لأحد ، حتى من أجل ذلك حضر والي الأمر بشان القضية وطلب منه أن يرجع إليه القضية ويخرج من عهدتها ليعمل فيها حلا مرضيا بين الخصمين ، ويكفي من شرها ومسئوليتها المترجم له ، فأبى وقال : قضية دخلت إلى الشرع وعمل فيها بموجبه وفصلت على يدنا لابد وأن تنقضي جميع أدوارها وتنفذ أوامرها على يدنا ، وقد اشترطنا عليكم أن لايكون لكم أي تدخل في الشرع ، ومن أجل ذلك وقف رضي الله عنه عن القضاء ، وهناه بالخروج من القضاء الأخ الأديب النجيب الشاعر الكبير : علي بن احمد باكثير بقوله :

خرجت إلى النعيم من القضاء ... فبشرى للمعارف بالهناء

رجعت إلى الدروس تميز فيها الصواب المحض من شوب الخطاء

عطفت على المعارف وهي تبكي فعوضت السرور عن البكاء

وجانبت المتاعب لالعجـــز فعزمك كالمهـند في المضـاء

ولكن الزمان زمان ســـوء يليق مقامه بالأشـقيـــــاء

خرجت من القضاء وذاك لطف بقاضي الأرض من قاض السماء

وأجمل من قضاء بلاد ظـلم وضيم أن تكون بـلا قضـاء

فدم زين المعارف والمعـــالي محاطا بالمسرة والهـــــناء

وأرسل السـيد الفاضل الأديب عمر بن احمد بن أبي بكر بن سميط قصيدة مديحة وتهنيئة للمترجم له بتوظيفه مرتبة القضاء ، فأتت القصيدة وقد خرج من القضاء ، وصلت في : ١١ محرم سـنة ١٣٤٦ هـ وهي طـويلة نـذكر الأبيات التي فيها ذكر القضاء ، وكما هي مثبوتة برمتها في ديوان المترجم له مع جوابه بقصيدة طويلة :

جمال محيًّا العـلم والأدب الذي به قد زهى التدريس وأزهت به الكتب

وأمست به تختال مرتبة القضاء ولاعجب إن هزَّ أعطافها العجب

فقد زوجوها خير أبناء عمــها وأكثرهم فخرا إذا افتخر العــرب

فمن جواب المترجم له عنها :

فيانجل شمس الدين يابهجة الورى فأنت لمحل الجهل والجفوة الخصب

فعذراً لمشتاق لوتــــه شـئونه وفيه استبان الضعف والشيب والعيب

ومن جاوز الستين لم يخف حاله بكاس الضنا بسعى وضاق به الرحب

وقد جاءني منك الكتاب كأنـه حياة لميت الشوق وهو له طب

إلى أن قال :

وأمر القضاء إني طرحت ثقالـه لمنع من العدل الذي تركه عتب

توليته تلك السـنين فإن يكــن جميلا حميدا فالذي قد حلى حسب

وإن كانت الأخرى فإني خلصته    وخلعي له يقلي به الشك والريب
وأيام تنفيذ الأمور احتملته    ويلقى إذا ما فل مضربه الغضب

*****

## ذكر حالته يوم الوفاة وتثبيته بالقول الثابت

كان رحمه الله غالب مجلسه كل يوم في محل تدريسه بزاوية مسجد الشيخ قيدان بن عبد الله باكثير قديما ، وأما حديثا فإنها احتوت على كل مجالسه وأوقاته ، لاسيما وقد كف بصره قبل وفاته منذ سبع سنوات ، حتى أنه غالبا يأكل فيها ولايذهب إلى بيته إلا بعد صلاة العشاء في المسجد ليتناول طعام العشاء ويبيت هناك وقبل الفجر كل يوم يذهب إلى الزاوية ويبقى اليوم فيها إلى بعد صلاة العشا ، وهكذا دواليك يجلس للطالبين والآخذين عنه يجدونه في كل وقت حاضرا هناك ، بادٍ لهم ليلا ونهارا لم يفتر عن القرآءة ولايتكاسل رغما لشيخوخته يفرح ممن أتى ، وربما يؤنب من يرى عزمه فاترا حرصا على الفائدة والترغيب في العلم ، فها نحن اليوم منذ غاب بدر محياه أظلمت علينا مسالك العلم والتعليم ، ولم نجد من يرغبنا في العلم ، ولايتفقدنا ويسأل عنا ويعاقبنا على ترك القرآءة ، ولسان حاله ينشد قول أبي فراس الحمداني :

ستذكرني قومي إذا جدَّ جدها          وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ولما كان يوم الأحد ١٣ محرم سنة ١٣٥٥ هـ أتيت إلى تلك الزاوية والساعة ثمانية بعد صلاة الظهر لإرادة القرآءة عليه كالعادة ، دخلت الزاوية فوجدته يقرأ القرآن العظيم وبعض الأولاد يقص عليه في مصحف قَلَمْ حتى انتهى إلى قوله تعالى **( واصبر كما صبر أولي العزم من الرسل ولاتعجل لهم كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون )** وجدتهما يتراجعان هو والذي يقص عليه في قوله تعالى **( بلاغ )** هو يقول : ( **بلاغٌ** ) بالرفع وذاك يقول ( **بلاغاً** ) بالنصب حسبما رآه مكتوبا في المصحف المذكور ، فأمرني أن أرى التفسير فراجعته فوجدته بالرفع حسبما أراده ، ولم يذكر إلا قرآءة الرفع ، فأمرني بإصلاح ذلك المصحف وقشط النصب لتبيين الغلط ، ثم أتم الآية المذكورة وختم السورة ، فكانت هذه الآية آخر مانطق به من القرآن

العظيم قبل صلاة العصر ، ولما أذن المؤذن صلى ركعتين قبلية العصر ثم ركعتين قائما صحيح الأعضاء ، ثم صلى العصر كذلك بأتم قيام وكمله ، وكانت عادته إذا صلى العصر يقوم من موضع صلاته إلى موضع تدريسه في تلك الزاوية ، ولما جلس ابتدأت بالقرآءة عليه في الفقه في الروض لإبن المقري مع الشرح أسنى المطالب لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، ولما أتممت القرآءة فيه بعد كمال التقرير والإلقا وبيان ما أشكل أوقفني وأمرني أن أقرأ في وقفي في النحو في التسهيل لإبن مالك ، فقرأت عليه منه ماشاء الله بنافذ الإصغاء وأشد الإستبصار فأوقفني وقال : أقرأ في وقفك في التصوف ، فقرأت في وقفي في الحكم لإبن عطاء الله مع شرحها ، فقرأت عليه ماشاء الله ، فأوقفني ثم قرأ عليه القارئ وهو وبعض الأولاد في الحلية للإمام بحرق فقرأ عليه ماشاء الله حتى أوقفه ، وقال لغيره : إقرأ فقرأ عليه في الحديث في كتاب الأربعين للشيخ يوسف النبهاني في وقفه ، فابتدأ بقوله : الحديث السابع عن أبي مسعود الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لقنوا موتاكم قول : لآإله إلا الله ، فقال المترجم له : لآ إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، فانقبضت لسانه وألقي على الفراش ومات ، فكان آخر كلمة قالها : لآ إله إلا الله ، فرحمه الله ما أحسنها خاتمة يتمناها الأكابر ، ويخشى من سوء عاقبتها الصديقون أولي البصائر ، وهي البغية العظمى ، والنعمة الكبرى ، كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ فقال : ما من عبد قال لآ إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ، قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق ، قلت : وإن زنى وإن سرق ، ، إلى آخر الحديث الذي رواه البخاري .

وعن معاذ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من كان آخر قوله لآ إله إلا الله دخل الجنة . رواه احمد وأبو داود . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : إني لا أعلم كلمة لايقولها رجل حين يحضره الموت إلا وجدت روحه لها رَوْحاً حين تخرج من جسده ، وكانت له نورا يوم القيامة ، لآ إله إلاالله . رواه الإمام احمد بسند صحيح .

وأشار إلى ذلك في مرثاته في المترجم له الشيخ الفاضل محمد بن عوض بافضل بقوله :

فلبَّى بالجلالـــة وهو مصغٍ إلى لفظ الحديث عن الأمين
وتلك مزية تقضي لعـــمري بحسن السابقية واليقـــين

وقد أشرت إلى ذلك في مرثاتي فيه بقولي :

شهدتَ شهادته لـــه بشهادة قطعت بميتته على الإيمـــان

ولقد أجاد السيد سقاف بن محمد بن طه السقاف في مرثاته بقوله :

يموت على ماعاش كل وهكذا رأيناه أودى وهو يستمع الصحفا

وكذلك أشار الشيخ محمد بن عوض المذكور في المرثاة :

وإن المرء مقبوض على مـــا يعيش عليه في دنيا وديـــنِ
ومن ينشأ على الطاعات يغبط بتثبيت لدى رشح الجبـــينِ
كمثل محمد ابن كـــــــثير كثير الفضل والوصف الحسينِ

وسنورد تلك المراثي برمتها في محلها عند ذكر المراثي بأسرها التي وصلتنا ، وقرئت يوم العزاء ، والتي وصلت فيما بعد .

وأتذكر أن المترجم له كثيرا مايلهج في كلامه ودعائه وأشعاره بحسن الخاتمة ، ودرست أشعاره فوجدته في كثير منها يدعو الله حسن الخاتمة ، منها قوله في نظم خاتمة التسهيل له :

خاتمة أسأل ربي حسنها يولي بيمن الإختتام يمنها

ومنها في قصيدة أرسلها جوابا لقصيدة أرسلها إليه السيد الفاضل الأديب : عيدروس بن سالم السقاف وهي قول المترجم له مطلعها :

نظام له ميل لنشر الحـــقائق　　　من الولد الماشي لخير الطرائق

من المرتضى من فائق الفهم والذكا　　　من المتجلي بالصفات الروائـق

هنالك من نظم كأن سياقـــه　　　شواهد حال المستهام المفـارق

يهيج به الشوق الكمين الذي له　　　تألق للرائين شيب المفـــارق

فذكرتني ياعيدروس بنظمك المصا　　　غ من الإبريز عهـد السـوابق

فيارُبَّ شيءٍ كان في زمن مضى　　　على حين مجلى كل أمر موافق

ليال بها طاب السرور لأهـله　　　وماكان بين الأصدقا من عوائق

إلى أن قال :

إلى الله أشكو من زمان مشتتٍ　　　حملت به مثل الجبال الشواهـق

ومما شجاني واللواعج جـــــمة　　　وميض بريق لاهب متـناسق

على الغور والجرعاء والجزع والفضا　　　وحيث الغواني في رياض الحدائق

فأذكرني العهد القديم الذي بـه　　　حياة فؤاد في الصبابة غـارق

رعى الله أياما تقضت بمجمـع　　　به عصبة القوم الكرام السوابق

صفت لهم الأحوال في مشرب الهنا　　　به عصبة القوم الكرام السوابق

وكنا بهم في مهيع العز والرضـا　　　تطوف بنا الخيرات في كل شارق

وخالك كم لاقى من الصفوة العلى　　　عسى أنه ينجو بهم من موايـق

إلى أن قال :

ومدحك لي ظن جميل لعل في　　　سوابقه مايرتجي في اللواحـق

ولاتنسني من محض جودك داعيا　　　بإصلاح أعمالي وختم مطابـق

ومنها في تهنيئة للمـترجم له بقـدوم الأخ الشـيخ محمـد بـن احمد باكثير من جاوه إلى سيوون قوله من آخر القصيدة :

جاء السرور وحلَّت البشرى بنا نجم النوى في سوح مغنانا غرب
ولنا بعودك كل خــــير يرتجى إنا لنرجو الله حسن المنقلب

ومنها في نظم الصلاة في آخر أربعاء إلى أن قال :

وبعدها جيئ بالدعــاء المشتهر نرويه عن بعض شيوخنا الغرر
عليهمُ رحــمة ربي دائمـــــــة وفقنا الله لحسن الخـاتمـــــة

ومنها في مرثيته في السلطان محسن بن غالب الكثيري :

أجب الدعاء ياربنا بالمصــطفى خير الورى واختم بحسن الحال

فأجاب الله دعائه وحقق رجائه ، فمات ناطقا بالشهادتين كما تقدم ، وقرت له بذلك العين ، وختم له بحسن الخاتمة نسأل الله حسنها آمين .

وبات المترجم له في تلك الزاوية التي توفى بها إلى صباح الإثنين ١٤ محرم سنة ١٣٥٥ هـ وصَلَّى عليه السيد الجليل البركة احمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف ، وقبل الصلاة أبَّنه وذكر محاسنه وماعليه من جد واجتهاد وأخلاق وسير وعلوم ، ثم خرج به الجماهير إلى مقبرة جوهر ودفن بها حول قبري والده وأخيه احمد ، وأمرنا أن نكتب على قبره هذين البيتين له :

يارب أنت قادرُ وأنني لا أقدر
وأنت يارب كريمٌ والكريم يغفر

*****

## ذكر ماقاله الشعراء من تاريخ الوفاة ، وذلك في : ١٣ محرم سنة ١٣٥٥ هـ نظما ونثراً

**أولا** : ما أرسله إليَّ السيد الأديب النجيب محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم قوله :

لاح لي في عالم الخيال

شطر بيت يجمع تاريخ انتقال الشيخ المغفور له محمد بن محمد بن احمد باكثير رضي الله عنه ونفع به ، حين إنشادي الأبيات ( أي مرثاته الآتية في المراثي ) فيه ، فحاولت لإدماجه فيها ولكنني لم أجد إلى ذلك سبيلا ، ولهذا زدت عليه وجعلته مع الزيادة قطعة منفردة ، بدأتها بالشطر المذكور وختمتها به تيمنا وتأكيدا لوقوعه ، وهاهي :

معهم خير رفيـــق ... ذهب البر الشفيق
الجمال ابن كـــثير ... فهو في أعلى رفيق
وهو بالفوز وبالفضـ ... ـل جدير وخليق
وهو في العلم إمام ... يشبه البحر العميق
منذ جاء النعي حالا ... صرت في همٍ وضيق
حرت في أمري وأمـ ... ـسيت كإنسان غريق
تارة أشكو إلى الأعـ ... ـداء وطورا للصديق
ثم سلمت وفوضـ ... ـت لذي البيت العتيق
رب إني للرزايـا ... والبلايا لا أطيق
فاجبر الكسر سريعا ... واهدنا نهج الطريق
ولقد أرخت تاريخا ... من النظم الرقيق
لإنتقال الليث هذا ... معهم خيرُ رفيــق

**والثاني** : أرسله إليَّ الأديب السيد شيخ بن عبد الله بن عبد الرحمن الحبشي وهو قوله : تجديدا للعهد ، وتذكارا لأيامنا الماضية قريبا ، أرسل سلامي العاطر ، وتحيتي الحارة ، لأخي الأديب الهمام : عمر ابن الشيخ الفاضل المرحوم محمد بن محمد بن احمد باكثير ، رجائي دوام صحته وكمال عافيته ، كما أني والحمد لله كذلك ، وبما أنه قد جرى في تلك الجلسة الشيقة عنده أنه قد حصل تاريخ منه ومن الأخ محمد بن سالم بن حفيظ بوفاة والده العلامة ، فإني قد طالبت قريحتي ورويتي في أن أشاركم في ذلك ، فسمحت بما يأتي بعد اللتيا والتي فجروا عليه ذيل العفو والستر لما فيه من ركاكة في اللفظ وسذاجة في المعنى ، وأكبر اعتقادي أن ذلك الفقيد يستحق أن يكتب تاريخ وفاته بماء القلوب لابماء الذهب ، وهاهو هذا :

| | |
|---|---|
| رضي الموت حـالا | إذ رأى الخلق حـالا |
| واشتهى الرمس دارا | من على النجم طالا |
| ما من الموت بـــدٌّ | مَنْ مِن الموت مـالا |
| إنـه ليس يـــرثي | فعـــلى الكل حـالا |
| رعت مـــن كان في | جبهة الدهر خـــالا |
| باكثير المعـــــالي | بدر تم تعـــــالى |
| من سمي باسم خيرالـ | ـر سل والحـق قـالا |
| ناله صـرف دهـــر | بيئس من كان غـالا |
| سحَّ بالعفو هـــــام | وعلى الـرمس سـالا |
| من هوي من تـــولى | كنت أهـوى المـآلا |
| ياإلــــــهي ترحم | من لـــــــدارك آلا |
| ولتاريخ فقـــــــد | طاهر العرض زالا |

**الثالث** : لجامع هذا هو :

هو الدهر حرب الكرام الخيـ ـار فسيف المنون لهم منتضا
يجرعهم أبـــدا بؤســه وذلك خلق لـهم ما انقضى
عجبت لـذي أمـل راغب يزيد لهذي الدنا اقتضـــا
ويرفل في العيش في دعـةٍ وذا الموت في وعظه حرضا
ألم ير بالأمس مـاسـاءنـا وأوقفنا في لهيب الغضــا
فقدنا بفـقد أبي كل شيء فلاينكر العلم إذ قوضـــا
وكنا به قبل في غبـــطة وفي جذلٍ كامـلٍ ورضـى
ولكننا الـيوم نبـكى أسى لهذا الزمان الـذي عوضـا
فسبعون عاما مضت في هنا وعامان حتى نزول القضا
فمات أبي حار فيه النـهى وتاهت عقول الورى إذ قضى
فقل للذي رام تاريخـــه فذلك حق **( رشيد مضى )**

****

الرابع : ما أرسله إلي الشيخ الفاضل محمد بن عوض بافضل طي مرثاته المتقدم ذكرها والآتي إيرادها برمتها في المراثي تاريخا نثرا ، فأحب بعض الأصدقاء أن يجعله نظما لأنه كان شطر بيت كي يلتحق بالأبيات المتقدمة ، قال :

ياعمـــر ابن الجمال السخي بما في يديـه
أبوك قد مات مـوتا تصبو القلوب إلـــيه
وكيف لا وهو أودى **( والرب راضٍ عليه )**

ولما كان يوم السبت الموافق : ١٩ محرم سـنة ١٣٥٥ هـ مـاكادت تجي الساعة اثنين عربي إلا وقد اغتص مسـجد قيـدان بـن عبـد الله باكثير بالنـاس ، وأول شيء ابتدأنا به هو قرآءة ماتيسر من وقفنا من الإحياء مع المترجم له ، ثم لما حضر غالب الأعيان من طبقات الأجناس وكادت الشـمس أن تحـر ، قـام جـامع هذا وقرأ مرثاته وهي :

العين غرقى بالنجيع القـــاني    واللب مسلوب من الأحـزانِ
ما ذا أقول وفي الحشاشة لوعة    مشبوبة مـن لاعج الأشجـان
إني فجعت بمفجع تـرك الأسى    حولي محيطا حـلَّ كل مكان
فجرى بجسمي الحزن جَريَ عروقه    بالري مغمورا عـــلى الجثمانِ
فدهاني الأمر الخطير وهالني    هَدَّ القوى مني وراعَ جَنـاني
خطبٌ ثقيل عبئه قد راعني    مالي على الخطب الثقيل يـدان
ومصيبة دهياء أوقفت النهى    من بعدها كالهائم الولــــهان
خطب لقد خطب القلوب بوعظه    ولذا استجـابت بالحمـيم الآنِ
شتان مابين الخطيب وبـينه    ذا ساذج لفظا وذاك مـعـاني
رزء سقى سيوون أخلاف الردى    وجرى على الأصقاع والبلدان
وطمى على سيل النواحي كلها    فهي الغداة حوالك الألــوان
( **سيوون** ) يا أم العلوم تأيمي    وتحجبي بمطارق الأحــــزان
ماتصنعين اليوم بعد محـــمد    مروي الصدي ومنقذ اللهفان
لاتبرحي بتحسر بعد افــترا    ق أبي كثير مرشد الحـــيران
أيجيش في فكري القريض وصوغه    والدهر أرزاني بأخـذ لسـاني
هيهات هيهات السبيل للـهوه    درس القضاء فآثر الســلوان
أيحوم في خلدي السلوَّ ووالدي    أضحى رهين ملابس الأكفـان
أعزز علي بأن أراه موســـدا    في الترب في شغل عن الخلان
شني الحياة وعافها لتغيـــــ    ـر الأخلاق والأحوال والألوان
قضىَّ نفيس العمر في التدريس والـ    ـعلم النفيس بغاية الإتقـــان
طوبى له أفنى الزمان مشمرا    متجلدا في طاعة الرحـــمن
ويبيت يدعو ربه متملــــملا    يشجي النفوس بصوته الرنـان
يتلو ويدعو ربه متروحــــا    مازال بالأذكار والقــــرآن

متخشعا متدبرا متـفكـــــرا ... مستغرقا في البحث والإمعـان

كمنت له الأحداث في محرابه ... في عزلة التعليم والعـــــرفان

أودى حيال الكتب مرخ جنبه ... بشماله الكتب وبالأيـــــمان

في بيت مولانا العلي جلالـه ... في المسجد المعزو إلى **(قيدان )**

شهدت شهادته له بشـــهادة ... قطعت بميـــتته على الإيـمان

موت يعز على البرية مثـــله ... وتهون فيه طوارق الحـــدثان

حفت ملائكة السماء بروحـه ... نحو السماء في العالم الروحـاني

مامات من ترك المآثر دائمـــا ... تبقى على وجه الزمان الفـاني

تبقي له الذكر الجميل مخلـــداً ... **(والذكر للإنسان عمرٌ ثاني )**

آثاره تبقى جداول علمــــها ... في الأرض لم تنضب مدى الأزمان

بذل الجهود مقسما أوقاتـــه ... في العلم والتعليم والعرفــــان

يجدونه الطلاب بادٍ حاضـراً ... أبـدا على حالاته متـــــداني

دوما تراه باذلا أنفاســــــه ... للنـاس لامتـكاسل أو واني

متبرعا للناس ينفق علمـــــه ... للراغــــــبين له بكل أوان

مازال فيهم صادعا بالحــق لا ... يلوي على ظـــلم ولاشنئآن

ولي القضاء قضا الطويلة برهـة ... فقضا بوفق شريعـة الـديـان

واستند الأحكام غير محـاذر ... من ذي مقام لا ولا ذي شـان

يجري كما يجري العظيم مصمما ... في الجري متكلا على الإيمان

يسعى بنور الله في أفعـــاله ... لاينثني بتعرف ودهـــــــان

وأقام رجح العدل في أحكامه ... حتى استلان به ذوو الطغيان

وإذا الخصوم تجثموا تلقـــائه ... فرفيـعهم ووضيعهم سيـان

حُر الطوية لم يزل يجري على ... النهج القويم الواضح البرهـان

قرم أبيٌّ عالمٌ متفـــــــــنٌ ... في العلم حبر حاضر الأذهـان

لايكتم العلم ويبذل وسعـــه في حالي الإفتاء والتبـــيان
ياويح ذي علم لــــه متكـتما يشقى أهالي العـلم بالكتمان

****

ضاقت علينا الأرض بعد وفاته والشمس أظلم شخصها النـوراني
والأرض غبرا والديار تنكرت والناس غير الناس في الألــوان
والخلق تلهج بالشهادة والرثـا قاصيهمو في مأتم والـــداني
يتساءلون بأسرهم عن حالـه ماذا دهى الشيخ العـظيم الشاني
ذا تائه يبكي وهذا واضـــعٌ كفيه في حـزن على الأذقان
يبكون فيه محامدا مجموعـة ظهرت وهل تخفى على إنسان
يبكون أخلاقا له وشمـائـــلا ومناقبا تعنو لها القـــمران
يبكون معوانا على علامـــة سهل العريكة طاهـر الأردان
يبكون بالدمع الهتون على الذي يوليه من عرف ومن عرفـان
يولي النصيحة للورى وينيلها كل الأباعد والقريب الـــداني
من طيب مخبره وصقل فؤاده يبدو لديه الغيب كالأعــيان
كلف شفيق بالـبرية راحـــم برٌ رءوف رافق بالجـــاني
تبكي العلوم عليه وهي كثـيرة تبكي عليه بمدمع هـــــتان
يبكي عليه الفقه تبكي كتــبه ويواصل الأحزان بالأحـــزان
تبكي عليه مسائل المـــنها ج والتنبيه والإرشاد والميـزاني
نبكي عليه تحـفةٌ ونهايــــةٌ وكذاك مغني العارف الرتـاني
يبكي عليه النحو طول حياته يبكي عليه بالنجيع القــــاني
يبكي عليه الهمع والتوضيح والـ ـتسهيل يبكيه مدى الأحيان
يبكي عليه الكشف إثر الروض مع تاج العروس جليسه المعوان
من بعـده قد أصبحت متروكة يلج الغبار بها بلا استـــئذان

تبكي القوافي شجوها وعروضها     يبكي أسىً وبديعها ومعـــانِ
يبكي القريض عليه إذ أضحى له     وافٍ من الإزحـاف والأوزانِ
أنظر إلى ديوانه تلقاه مشـــ     ـحون القصائد ناصع التبـيان
أنظر إليه وقس به أقـــرانه     تعـــرف هنالك راجح الأقران

****

قل للحسود المستطيب بموته     أذكر بأنك عن قريب فـــاني
ماسار إلا أنه متبـــــــقيا     حقا هنا رغم الحسود الشـاني
يكفيه فخرا حيث كان على الورى     شيخا لهذي القدوة الأعيـان
حتى النساء أمدهـن بعلـمـه     كي ينتفي من عهدة الكتمـــان
ألقا في الأسبوع يومـا للنسـا     ء مذكرا بتمهـــــل وبـيان
ياطاهر الأثواب والقلب المصفـ     ـى الغش من حقد ومن أضغان
فاهنأ فقد ذقت الحياة شهية     وذهبت مثلوج الطوية هـاني
قَرَّ العِدا لك بالسباق وأذعنوا     لك بالتفوق أيما إذعــــان
وختمت بالحسنى وتلك مزية     وذهبت محمـــودا بكل لسـان

*****

ولما أتمها قام السيد الأديب سقاف بن محمد بن طه السقاف وأتى بقصيدته وهي :

هو الموت لاينسى عروشا ولاكهفـا     ولاملكا يخشى وقد جرد السيفا
يطوف فيرمي من يشاء وينتقي     فتلقاه مثل الملك في الأرض أويلقى
وليس يهاب الشيخ أويرهب الصبا     ولايرتشي بالمال والجاه والزلفى
يمر على ملك كبير وفتـــية     شداد فيعفيهم وينسفهم نسـفـا
فشداد أرداه وفرعون سـامة     ولايقبل الهدنات والصلح والحلفا
أعزريل رفقا بالشيوخ وذي الصبا     مع النـزع لين رحمـة لهم الكفَّـا

أعزريل رفقا باليتامى وسل لهم | من الله صبرا منه نستقبل اللطفا
على قدر حطمت ركنا من العلا | وأعفيت عبدا ذكره بعد لايعفى
هدمت لنا عرشا وحطمت منبرا | وأغمدت سيفا قد محى الظلم والعنفا
خطفت جمال الدين خطفا ونحن في | ختام الثلاث الكتب لم تحسن العرفا
كبير له خمسون عاما مدرسا | وعشرون قبل وهو يقرأ ما انكفا
ضرير ولكن كالمعري نباهـة | وزهدا ومن مال القضا في القضا عفا
خطفت علينا الفقه والنحو دفعة | وعلم المعاني والتصوف والصرفا
يموت على ماعاش كل وهكذا | رأيناه أودي وهو يستمع الصحفا
فلو رمت أن يفدى لجيئنا بأنفس | فتأخذ أعشارا إذا شيئت أوألفا
ولكن روحا أنت أوملكا من الملا | ئك تحت الأمر لاتقبل الضعفا
حواليك فافعل ماتريد فكلنا | ثمار وهذا الموت يقطفها قطفا

****

فياراحلا نم بالهنا وانظر المنى | فلن ترى إلا الحور والموعد الأوفى
تقابلك الولدان في منزل الرضا | ورضوان حول اللحد تلقاه قد صفا
**وقيدان** والتدريس يشهد حيث لا | شفيع ويوم الناس قد لزموا الخوفا
وهاك رثاء من فؤاد تقرحت | جوانحه خوفا على العلم أن يطفا
فياربنا فاخلفه بالخلف الـذي | يعيد لنا التدريس والأنس والألفا
ويا( عمر )كن بعده خلفا وقم | أعزيك واصبر واحسن الإرث والخلفا
وقدظهرت من فبل رؤيا فخفتها | وأولتها وحدي فصارت لنا كشفا
رأيت كأني والفقيد بنخلـة | هوت وكأن الشيخ قد بلغ الحتفا
فقمت فقلبت الكتاب فدلني | على موته والحق في الكتب لايخفى
فيارب عطفا بالفقيد ورحمة | بأولاده من بعد ياربنا عطفا
وقوِّ لهم حبل الوئام وبدد اللئا | م الأولى قدحاولوا فيهم الخلفا

وداوي صدوع القارئين عليه والـ | ـمعادين بدد شملهم وارغم الأنفا
--- | ---

*****

ولما أتمها قام السيد الأديب محمد بن حسن بن علوي بن عبد الرحمن السقاف وأنشد قصيدته وهي :

في سبيل الإنذار والإعتبـار | كم خطوب قد عيل عنها اصطباري
--- | ---
عِبرٌ في الدهور تـترى ولكـن | في الـبرايا تجري بغير إعتبار
حلَّ فينا الأسى وأجرى دموعا | من عيونٍ كالمزن تهمي جواري
حاربتنا الأيام ظلما وجـوراً | وسبتنا بحسنها الغــــرَّار
ودهتنا بفادح الخطب قسـراً | ورمتنا بالحـادث المسـتطار
بفراق الوحيد علما وحلمـــاً | واتباعا لسيرة المخــــتار
الإمام الجمال ابن جمال الـــ | ـدين تاج الأجلة الأطـــهار
الملبي نداء مولاه لمَّـــــا | رامـــــه واستخاره للجـوار
إن يغب شخصه فما مات من قد | عاش عيش الأكابر الأحـــرار
جَدَّ طفلا يبغي المكارم حتى | نال بالجد رتبة الأحـــــبار
وتملىَّ من المعالي وأمــــلا | بيراع التقـــديس كم أسـفار
وجلى من فهومــــه كم معمَّى | حار في حلـــه ذوو الأبصـار
عنه حدث ماشيئت في العلم حقا | فهو شمس تشع وسط النهـار
دأبه النصح للأنـــــام ومهما | قال بالعـــرف فاز بالأوطـار
وتولى القضا إختيـارا وأضحى | ملجاءً للضعيف في الإنتصـار
وبنشر العلوم والهدي روَّى | كل صادٍ من صوبه المـــدرار
وهدى كل طالب رام نجحاً | فغدا بعد مطمــــح الأنظار
ولجمع الآداب والفضل جارى | خيرة السابقـــين في المضـمار
وبحسن الحديث والخلق يلقي | كل فرد ناجـــاه باستبشار

وبمحض الوداد مازال يضفي لذراري بنـــــيه الأطــهار
معه خاوت حشاه سيجني ثمر أدواحها بدار القــــرار
أبنيهِ الكرام صبرا وإن جلّــ ـل ذا الحزن سائـر الأقطـار
وعَزاءً لكم كريمـاً فأنـــــتم خلفٌ للفقيد في ذي الـــدار
وتواصوا بالخير دأباً وأحـيوا باعتناكم مهـــــابط الأسرار
فأبوكم مضى سعيدا حمـــيدا فانظروا بعـــده إلى الآثار
يتباهى بنزله في جـــنان هُيِّئت للنــزيل عند البـاري
لاتعداه عفوه وعلى مثـــ ـواه جادت هواطل الأمطـار
وحباه بالصفح والعفــو مَنًّا فنَـداهُ بالفضـل والمـن جاري
وعلينا أجــرى التأسي وأولا ه رضاً ماجرى النسيم الساري
وعليه من بعد طـــه سلامٌ دائم بالآصـــــال والإبكار

****

ولما أتمها قام بعده الأخ الفاضل الأديب عمر بن احمد بن محمد باكثير وألقى على أسماع الحاضرين هذه الخطبة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، يضيق صدري ولاينطلق لساني :

لعمرك ما الرزية فقد مال ولافرس يموت ولابعير
ولكن الرزية فقد حـــر يموت بموته خلق كـثير

أيها السادة الكرام ؛ يسوؤني أن أقف أمامكم مؤنبا والدنا المفضال ، وعمنا الجليل المرحوم : محمد بن محمد باكثير ، ولكن من الواجب عليَّ والمحتم ، أن أتمثل قائمـا بينكم وإن لم يسـبق لي عهدا بالقيـام في مثـل هـذه الحفـلات لألقي عـلى مسامعكم بعض مـا للمرحـوم مـن سجـايا ومعـارف وعلـوم وآداب ، يعرفهـا الخـاص والعام من قاصٍ ودان ، قياما بالواجب نحو هذا الفقيد العظيم :

هنا فليقل ما شاء من كان راثيا فهذا مقـامٌ فيه ترثى المعاليا

نزل عليه الأمر المحتوم فجأة لم يتقدمه أدنى مرض ولاتوعك ، فقد كان في ذلك اليوم أقوى منه في الأيام السالفة ، دخلت عنده في زاويته المشهورة صباح ذلك اليوم كعادتي في كل يوم ، فقرأت عليه ماشاء الله أن أقرأ حتى انتهت قرآءتي فودعته وانصرفت ، فما كانت الساعة الحادية عشر إلا والرسول يدعوني لأحضر الساعة ، فذهبت صحبته مسرعا وقال : إن عمك أغمي عليه ولم أعلم ماذا حاله ، فدخلت عليه فوجدت بعض الإخوان عنده ، ولما وقع عليه نظري بهت وأصابتني رعده لهول ذلك الأمر المفاجئ ، وقلبته فلم أجد به حراكا حتى أيقنت أنه لفظ النفس الأخير ولبا نداء ربه ، ومضى طاهر الأثواب رحمة الله عليه ، وقلت إن المنية لاتختص بصحة ولامرض ، ولاشيخ ولاشاب ، الكل في ذلك سواء وكما قال رحمه الله في بعض مراثيه لبعض أصحابه :

ألا إنما كانت وفاة محمد دليلا على أن ليس لله غالب

مات العم الجليل فماتت بموته الآمال ، وانطفى ذلك المصباح الذي مازال يضيئ لنا ، وانهد ذلك الركن الذي نعتمد عليه ، وهو ذلك الكوكب السماوي من أُفُقِهِ ، فيالهول ذلك الخطب العظيم ، ويالفداعة هذه المصيبة العظمى :

توفيت الآمال بعد محمد وأصبح في شغل عن السفر السفر

مات المرحوم ونحن في أشد الحاجة إليه ، مات الرجل والرجال قليل :

فقدناه والآمال ترجو حياته وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

مات العم ومن الذي لايموت ، وكل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ، إنا لله وإنا إليه راجعون . من تحصيل الحاصل أن أنوه بفضل هذا العلامة الكبير ، والحلاحل النحرير ، وحسبنا أن نقول : أنه قد قضى عمره كله في العلم وخدمته ، ومن كان هذا حاله فجدير بعظيم فضله وسعة مقامه ، وفقيدنا هذا إلى آخر ساعة من ساعات حياته وهو في تدريس العلم النافع ، ولاغرابة إذا ختمت له بالحسنى ، ألم تعلم أنه فارق الحياة وهو في معهده العلمي

والقارئ يقرأ عليه في أحد كتب الحديث قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقنوا موتاكم لآ إله إلا الله ، فعندما طرقت سمعه هذه الكلمة نطق بها وانقبضت لسانه وفاضت معها نفسه .

كان رحمه الله على جانب عظيم من الجد والتشمير ، لايفتر من الدروس ولايعتريه ملل في أي وقت قصدته تراه جالسا في زاويته المحبوبة ، يملي من علمه الغزير وفهمه الوقاد ، مايثبت في النفس ويقر في الصدر ، ويرن صداه وإن طال الأمر . وكان يحب تقييد المسائل إلى الغاية ، ويجيبنا على ذلك ، ما في يوميته المسمى ( الشماريخ في تقييد الفوائد والتواريخ ) مما يدل على حبه لذلك ، وصباح اليوم الذي توفى فيه ذكرت له بيتا من الشعر لأبي الطيب المتنبي قوله :

يموت راعي الضان في جهله موتة جالينوس في طبه

فذكر أن للسيد العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف مايشابه هذا البيت في مرثيته في السيد شيخ الكاف :

يموت شيخ الكاف في ماله موتة باحشوان في فقره

وكنت تلكأت عند ما أنشدته البيت فقال رحمه الله : وهل قيدته ؟ فقلت لا ! فقال : لاتعدون طلبة علم مادمتم لاتقيدون مايمر بكم حال المطالعة ، فإن ماكتب قر وماحفظ فر .

كان رحمه الله يمتاز عن بقية العلماء الحضرميين بحبه للتأليف ، فإن له مؤلفات نحو عشرين مؤلفاً في فنون مختلفة يضيق المقام عن تعدادها :

تلك آثاره تدل عليه فانظروا بعده إلى الآثار

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ماقاله وفضول العيش أشعار

وكان حر الضمير ، مشاركا في كل فن من الفنون مما لاتجده في عالم مثله ، وكان شاعرا كبيرا ، له ديوان شعر ينيف على العشرين كراسة ، وناظما لمايمر به من المسائل الفقهية والنحوية وغيرهما ، فإذا رأى في مسئلة خلافا اونادرة نظمها

بنظم من السهل الممتنع عازيا في ذلك النظم للكتاب الذي أخذها منه مبينا الرجال المخالفين في تلك المسئلة ماجتمع من هذا نحو خمسة عشر كراسة ، تولى في آخر أيامه ولاية القضاء الشرعي ببلد سيوون ، فقام به خير قيام ، وأخذ بيد المظلوم وضاغطا على يد الظالم ، وترك وظيفة الفتوى فارغة بالكلية ، وكثيرا مانجد السائلين يمشون بأسئلتهم فلا يجدون مايلبي طلبهم إلا نادرا ، وعمنا المرحوم كان إذا وصله سؤال أفتى فيه بمايظهر له من غير إمهال ولاوعد .

وبالجملة فحياة هذا الفقيد مليئة بالمفاخر والعلوم ، وأيامها كلها درر ، ويضيق المقام عن استقصاء حياته ، فما ذكرناه قليل من كثير .

وفي الختام أعزي نفسي وأعزي أنجاله الكرام وأسأل الله الكريم للفقيد المرحوم الرحمة والرضوان ، ولأنجاله الصبر والسلوان ، ولاأراهم مكروها في عزيز عليهم . ولنا وطيد الأمل في نجله الأبر عمر أن يقوم فيما كان يقوم به أبوه من التدريس في الزاوية وعمارتها بالمطالعة ، فإنه خير خلف لخير سلف . والسلام .

*****

ولما اتمها قام الأخ الفاضل الشيخ علي بن شيخ بن علي باحميد فنثر على الحاضرين كلمات مشتملات على ذكر محاسن للفقيد وماكان عليه من علم وعمل علاوة على مرثاته ، ولم يحضرني الآن منها شيء بعد أن طولب بها لنثبت منها شيئا فلم يسعفنا بشيء .

ثم قام ولد من ولدان مدرسة النهضة العلمية بسيوون منشدا مرثاة للسيد الأديب سقاف بن حسن بن عبد القادر السقاف ، وألقاها على أسماع الحاضرين وهي :

أقض المضاجع خطب ألم ... يكاد يحطم أقوى علمْ

فإنك ياخطب روعتنا ... وغادرتنا لعوادي السقم

حلولك أوهن منا القوى ... وأجرى الدموع دماً كالديم

ولولا التأسي بمن سلفـوا — لطارت شعاعا قلوب الأمم
وكم نكث الدهر من مكره — عهودا موطـــــدة وذمم
وهـذي الحياة مداها المما — ت نبلغه كلنـــا عن أمـم
فمن أين للمرء فيها البقـــا — وقد خط بالإرتحـال القلم
ويكفي لمعتبر عـــــبرة — مشيب نشاهده وهـــرم
وأين المـلوك ودالـــتهم — وغيب ذات العـــماد أرم
وأودى الجمال عزيز المنـا — ل بدر الكمال رفـيع الهمم
محمد زين المحـامد مـــن — تبوأ في المجد أسمى حـــرم
لآل النـبي بسودائـــــه — وداد كنارٍ بدت في علم
حريص على الإقتداء بمـن — مضوا في سبيل العلا والكرم
فشب وشاب على حكمة — وعززها بحمـــيد الشيم
وكم مثل الكتب بحثـا وكم — أفاض على الطالبين الحكم
فأكرم به طالبا عامـــــلا — له في المكارم أعلى قـــدم
تولى القضاء مقيما لــــه — على وفق شرع الرسول الدعم
تولى وفي مظهر العـظماء — تجلى وأقشع عنا الظــــلم
ولم نظلم الشهم حقا لـــه — فما أبعــد الخير ممن ظلـم
يبيت يناجي سميع الدعـاء — حزينا إذا ما الظلام ادلهم
تذكرت كم ليلة باتهـــــا — يطالع فيها وجــــوه النعم
وكم خطرات بجنـح الدجى — بها سبق الشوق أهل الهمم
فسل عنه تلك الكواكب إذ — بسلك سناها المضيئ إنتظم
جنا في الحياة ثمار التـقى — وخلد فينا الثـــــناء الأتم
عزاءً بنيه وصـبراً لمـــا — دهى وألــــــمَّ بكم ودهم
فقد عم هذا المصاب الورى — وماخص ولداً وخالا وعم

فيابن الجمال لفقــدك لم نزل في أسى مستمرٍ وهم
وقد تم أمرك في الإرتـقاء وثغر التفوق منك ابتسم
ثويت فهلا بقيت لـنـــا دليلا هـــدانا لخير يعم
ولم أنسى بيتا يجـــدد في فؤادي الجوى وشديد الألم
**( إذا تم شيء بدا نقصه ) ( توقع زوالا إذا قيل تم )**
ثوى قاليا لحطام الدنـــا ويمم خالقه من عـــدم
يباهي به الله كم صـــالح بحبل شفيع الأنـام اعتصم
فلا غب مثواه هامي الرضا من الله مولاه بارئ النسـم
ويغشاه بعد نبي الهـدى تحيـته ماذكــــرنا أضم
وآلٍ وصحبٍ هداة الورى كرام النفوس رجال الشمم

*****

ولما أتمها قام الأديب الشيخ محمد بن حسن بن عبدِالله بارجاء وقرأ مـرثاة للسيد الأديب البليغ محمد بن عبدِ الله بـن علي بـن محمد السقاف المتوفى سـنة ١٣٨٠ هـ وهي :

من ذا الذي جاز المدى حقبا ولم يرد الـــردى
أيرام في الدنيا البـــقا حتى يعيش مخـــــلدا
كلا لئن لم يعتـــبط ينسأ لدهـــر ذا اعتدا
الدهر في أبنــــائه أحداثه لن تنـــــفدا
أودى الإمام المنـــتقى أودي الرجي المفتـدى
طِبنَ له حسن المقاصد إن تحرى مقصـــــدا
شهم ذكي القـــلب لا يرتاب في أمـــرٍ بدا
بعزيمة تـــزداد في الأ مر الخطـــير توقدا
وإذا غـــدا أوراح في هم فخــــيرٌ ماغـدا

يولي الجميل فإن عـدا ضيم إذا كبت العـدى
يخلو بمسجـده الشر يف وحبذا هو مسجدا
**قيدان** أسسه وقـــا م بشأنه وتعهـــــدا
يخلو يدرس فيه أصـ ـنا ف العلـــوم مرددا
شيخ زكى بعلومـــه أكـــرم بذلك سؤددا
كم كان فيه من التـــلا مذة الكرام أولي الهدى
من يستمد قــــرآءةً وتعلما طول المـــدى
هو كان حينئذ يعلـــ ـمهم تمـــاما مسـعدا
ومن السعادة أنـــه قد مـات فيه موحِّدا
ياشيخ أنـــك لم تمت بل قد حييت مؤبدا
آثارك اللاتي بقـــين قضـــين أن لاتنـفدا
كم من تصانيف غـدو ت منظما ومنضـــــدا
شهدت بأنك كنت عا لمها وكنت الأوحـــدا
لأبي كثير مـــــنةٌ عظمى بها لن تجـحدا
يجزيه عنا ربـــــنا جنات عـــدن مقعدا
وتحفه بالروح والريـــ ـحان في يوم النـــدا

****

ولما أتمها قام السيد النجيب محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم وأنشد قصيدته التي رثى بها المترجم له وهي :

كسب العـلوم ولازم المحرابـا ودعاه داعي ربه فأجـــابا
طوبى له بالفوز والإحسان إذ أجرى مكارمه وقال صوابا
طوبى له بالفوز والرضوان إذ أدى الأوامر وانتهى وأنابا
طوبى له بالخير إذ بث العلو م وثقف الأولاد والأصحابا

طوبى له إذ لم يرم غير العـلا   وعلى التقى والعلم شب وشابا
طوبى له إذ كان آخر قولـــه   توحيد رب يصطفي الأحبابا
فقد الفقيه محمد ابن محمـد ابن   أبي كـثير حيَّر الألبابـــــا
أسفت عليه قلوبنا وعيونـنـا   يبكيه دمعا بالدماء مشـابـا
وعليه أظلمت البلاد ومن برو   د الحزن والكرب اكتست جلبابا
والناس أمسوا حـائرين لما ألم   من البلاء بهم وحَـلَّ ونابـا
خطب مهول أيتم العـلم الشر   يف وأيتم الطلاب والكتابـا
خطب أصيب به الخلائق كلهم   وغدابه الدين القويم مصابـا
لم يبق هذا الخطب من أجسامنا   إلا عظاما قد وهت وإهابـا
رحماك يامولاي إن الخطب هـ   ـذا كان يفني أنفسا ورقابـا
بالأمس قد كان الفقيد كبـد   ر تم زاهر واليوم عنا غابـا
بالأمس كان معلما ومذكـــرا   واليوم قد ألقوا عليه ترابـــا
بالأمس نسأله فيفتينا وأمـا   اليوم أمسى لايعيد جوابـــا
كم حل عقد المشكلات وكم أبـا   ن المعضلات وكم أزاح نقابـا
شيخ عظيم فاز بالخيرات إذ   عرف الإلـه ولازم الآدابـا
شيخ أكبَّ على المدارس والمعا   لم والمعارف والهدى اكبابـــا
شيخ إذا جاء النهار يباشر الأ   ذكار ثم يعلم الطـــــلابـا
وإذا دجى الليل البهيم يقـــوم   مشتاقا يخاطب ذا الجلال خطابا
من جاءه مسترشـدا متقيـدا   نال الرشاد وبالفوائد آبـــا
ما مات من أبقى العلوم وطوق الإ   حسان جيد صغارنا والآبـا
مامات من أبقى له عند الملا   ذكرا جميلا لابثا أحقـابـــا
آثاره تنبيك إن الشـيخ هـــ   ـذاكان إنسانا وكان مهابـــا
وسيشهد التاريخ أن قد كان بر   اً صالحا متواضعا أوَّابـــــا

إني أعزي نجله عُمراً وأصهار ... راً له والأهل والأحبابا
وجميع أهل الدين من كل إمرءٍ ... عرف الحقائق واستقام وتابا
صبرا فإن الموت حق والمقد ... ر واقع يرضى الفتى أويأبى
صبرا فإن الموت باب والخلا ... ئق لامحالة يدخلون البابا
صبرا فإن الصبر حيلتنا وقو ... موا بافتقار نلزم الأعتابا
ندعو الإله قال أدعوني وما ... أمر الإله به يكون مجابا
يارب إنا قد وقفنا ههنا ... والكل يطلب من نداك طلابا
فأجب دعانا واهدنا واغفر لمو ... تانا وهبهم من لدنك ثوابا
واسكب على جدث الفقيد من الرضا ... والفضل والأجر الجزيل سحابا
واخلفه فينا بالصلاح وبالهدى ... واجعل له دار السلام مآبا
ثم الصلاة على النبي وآله ... والصحب مابدر أضاء وآبا

******

ولما أتمها قام السيد الفاضل الأديب عيدروس بن سالم بن محمد السقاف وألقى على أسماع الحاضرين كلاما بليغا حسنا يحتوي على ذكر المترجم له وجِده واجتهاده في العلوم ، وتلقيه منه علوما ، والقرآءة عليه في كثير من الكتب نحوا وفقها وأدبا وغير ذلك ، وأوعد أنه سينظم مرثاة فيه واعتذر على عدم مساعدة القريحة حينئذ بأعذار ، وإلى حينه لم يبلغني أنه عمل شيئا من الشعر تأبينا في المترجم له ، وهل يفي بوعده أم لا ؟؟؟

ولما أتم كلامه قام بعده الأخ الفاضل الشيخ عبد الرحيم بن محمد بن مسعود بارجا وقرأ مرثاته وهي :

خطب أقام الخافقين وأقعدا ... قد هَدَّ أجساما وفتت أكبدا
خطب ملم موجع أضحى بـه ... وصل الزمان مشتتا ومبددا
طود توارى تحت أطباق الثرى ... ومضى الإمام وحبذا لو يفتدى

تبكي عليه مدارس ومجـــالس ومعابد وصحائف ملئت هدى

لهفي على شيخي وأستاذي ومن برد المعارف والعلوم قد ارتـدى

لهفي عليه وحسرتي وتوجعي وتأسفي وتفجعي طـول المـدا

أبكيه بالدمع الهتون لفضـــــله أبكي المفاخر والعلا والسؤددا

أودي الجمال مكرما آثـــــاره محمودة مشهودة لن تجحـــــدا

كم قد أبـــان لنا فرائد حكمة [١] حسنت وكانت للأنام الموردا

من بعده الأحـراز أضحى مفردا في فـــــنه وكذا رأينا المبـتدا

أنعم بخاتمةٍ لتسهيلٍ فقـــــــد أوضحتها بعبارة تجـلي الصـدا

وكذا سرور البال شرح طيب يكفي المجد وإن تأمل واقتدى

تبكيه هذي الكتب قاطبة ولم تنسى مؤلفها الهزبر الأمجـــــدا

من للعلوم دروسها من بعـــده من للضعيف إذا أتى مستنجدا

من للأرامل واليتامى ملجـــأً من بعدكم من ذا يمد لهم يـدا

من لي بمثلك عـــــالم ومثقف في كل أوقـاتي يلقنني الهدى

( **عمر** ) تعزّ فليس حيٌّ باقـياً ممن ترى إلا الإلـــه الأوحدا

صبرا فإن الدهر هذا شـــأنه يسقي الكرام الغر كاسات الردى

وفقيدنا تبكي عليه علومـــــه نظما ونثرا مطلــــقا ومقيدا

فالله يخلف بعده في حيـــــنا من ينشر العلم الشريف المرشدا

وعليه رضوان الإله مكـــررا ومرددا في كل آنٍ سرمـــدا

****

ولما أتمها قام أحد الحاضرين بالنيابة بمرثاة السـيد الأديب

---

[١] ( قوله : فرائد حكمة إشارة إلى مؤلف المرثي المسمى ( الفوائد في نظم الفوائد ) والإشارة أيضا إلى بعض مؤلفاته فيما بعد ) :

شيخ بن عبد الله بن عبد الرحمن الحبشي ساكن الحوطة ، وتلا مرثاته الآتية :

أفلت شموس العلم بعد **محمد** وبدور عــرفان وأنجم سودد

وتناثرت درر التقى من سلكها بممات نجل محمد ابن احمـــد

جبل أشم على الجدالة [1] قد هوى أسفا على ذاك الأتم الأسعد

إني أُصِبتُ وتلكمُ لمصيـــــبة عمياء لم أسطع سلوك تجلدي

لمصيبة شقت شغاف قلوبنا لا إثم في فعل بغير تعـــمد

النعي جاء فما شعرت بحالـتي ووضعت من حزني على كبدي يدي

واسودت الأرجاء وانقطعت عرى خلدي الأسيف فخلته لم يوجد

واصطك ساقا همتي وتقسمت فكري على فقدي الهمام الأحيد

أستاذ والدي الأعز **حصافة** [2] ورزانة وهداية للمهـــــتدي

وردت نفوس أولي النهى حيضانه فاستعذبته وكان أطيب مـورد

يبدي محاسن علمه في صورة محبوبة للطالب المتـــــجرد

ويغوص في لجج المعارف فهمه فيعود منها ظافراً بالمقصـــد

ويوجه العزمات نحو طلابـــه فيقوده بالرغم مغلول الـــيد

حسد الزمان عليه أجمع صحبـه ورفاقه ياليــــــته لم يحسد

---

[1] قوله : الجدالة . أي الأرض .

[2] (قوله : حصافة ، الحصافة تخامة العقل وجودة الرأي ، قال الشاعر :

( حديثك في الشتاء حديث صيف

وشتوي الحديث إذا تصيف

فتخلط فيه من هذا وهـذا

فما أدري أحُمْقٌ أم حصيف )

ماكان ظني في الزمان بأنـــــه ... يبتز رب الفضل والكف الندي
قد كنت آمل أن يعيش وإنني ... أفنى ويرثيني ببيت مفـــــرد
يبقى على مر الدهور مخـــلداً ... بين الورى في شعره المتـفـرد
فـقريضه الحر الحلال وكيف لا ... وهو الأتيُّ بكل قـــول جيِّد
ورث القريض من امرء القيس الذي ... قد حاز فخرا فوق هام الفرقد
لو حفظوه به لأغنى عرفــــه ... عن كل طيب وانتشاق الغرقد[1]
لهفي على موت الإمام المنتـقى ... لهفي على الغور الخضم المزبد
فلتبكه **سيوون** طول زمانـــها ... وليبكه قيـدان مابشر هـدي
وليبكه كل الأنام فإنــــــهم ... سيرون عقبى فوت ذلك في غـدِ
إن قام مأتم فقده فينا فـفي الأ ... خــــرى نقيضه بأكرم مقصد
كرمت شمائله يعز نظـــــيره ... وصفت خلائقه برغم المعـتدي
قد ينشر من أماتهم الضــــا ... واليوم مات وذكره لم يلحـــد
وإذا خلت أيدي المنون بعـالم ... مرثاة فلــــيرثي بكل مؤيـد
وإذا العويص من المسائل أشكلت ... راجيه بيَّـنها ولم يــــــتردد
ولي القضاء فكان أفتــح فاتح ... بين الخصوم بحسن فصل أوحد
وأباح للطلاب أكثر وقـــته ... فاستمطروا من ودقه المـتردد
حمدوه فاستجلوا عرائس علمه ... ونبوغه وذكائه المتـــــــوقد
من لم يكن للمنعمين بحـــامد ... إنعامهم فلـــــــربه لم يحمد
حطوا حقائبهم بباب علومـــه ... فغـدوا بها بحرا بفضل مـزود
لله ذلك من إمام حــــــازمٍ ... أبداً بأردية المكارم مرتــــدي
وعجبت إذ تمشي الأنام بنعشه ... عجبا يروح على الرؤوس ويفتدي

---

[1] الغرقد : شجر عظام من العضاة طيب الرائحة .

جبل يخف وبحر جود ساكن … وعباب علم لايعيد ويبتدي

أسعى وعيني للجنازة شاخص … إنسانها بترحـــــم وتودد

ووقفت فوق القبر أسأل رحمة … من ربه من غير حصر تعـدد

وأهنئ اللحد الذي جمع العـلا … وعلا على جوزائها والفرقـــد

دفنته أرباب الفضائل والملـــ … ـوك الغر من باكٍ ومن متجلد

ولنجله أنهي التعازي ماضـــياً … حق الإخاء الخالص المتأكـــد

( **عمر** ) الغني بحذقة وشبابة … عن أن يسلَّى بالرثاء المنشـد

وعلى الفقيد الدهر صبت رحمة … تترى من الله الأعز الأوحـد

*****

ثم ختم الحفلة سيدنا البركة شهاب الدين : احمد بن عبد الرحمن بن علي السقاف ، تكلم بكلام حسن يحتوي على التأسف والكآبة على المترجم له وعلى مثله وأمثاله ، والترحم عليه وعلى الإقتداء به في علومه وأعماله ، وأطنب في وصفه وماعليه من أخلاق وسير وتقشف وزهد وجد واجتهاد ، ثم استطرد إلى إرشاد الحاضرين في الحفلة بالمواعظ الحسنة ، يالآيات والأحاديث والزواجر والنصائح ، فجزاه الله خير الجزاء عنا وعن الفقيد والمسلمين ، ومتعنا الله به وبأمثاله من القادة المرشدين لسلوك الملة المحمدية :

وكثَّر الداعين والأدلة … والمرشدين لسلوك الملة

والذي وصلنا فيما بعد من المراثي والتعازي نثرا ونظما كما يأتي :

الأولى : مرثاة السيد الفاضل الفهامة عمر بن احمد بن أبي بكر بن سميط ساكن زنجبار وهي :

العـــلم غاض بحضرموت عبابه … وتغيبت تحت الثرى آدابـــه

وانهد من علم الشريعـــة شامخٌ … وانقض من أفق الرشاد شهابه

خطب عُرى الإسلام منه تزلزلت … وتهدمت عُمد الهدى وقبابـه

غاب الجمال عن الطويلة فلتشق الـ     ـيوم أقبية الكرى خطابـــه

وليبك من بالسبق في المعقول والـ     ـمنقول قد شهدت له أربابـه

الله أكبر مات من حرز الـفضـا     ئل واقتنى غرر المحامد دأبـه

مات الذي أبكى الطروس أسىً على     فقد المحابر والدروس غـيابـه

مات الذي بالعلم والأخلاق نــا     خت فوق ناصية السماك ركابه

مات الذي قد كنت آمل أن تـزو     ل من الفؤاد بقربه أوصابـــه

عجبا لذي الدنيا تجود على الـــترا     ب ويحرم من لقاه صحابـه

بالله لو ترضى الفداء لفداه من     وادي ابن راشد شيبه وشبابه

لكنها الآجال تجري وفق مــــا     سبق القضاء على الفتى وكتابه

سلم لأمــــــر الله محتسبا ولا     تعتب على ما لايضير عتـابـه

فالموت والإنسان بينهما التــــلا     زم وانتهى صفو الحياة ذهـابه

طوبى لعبد عاش في تقـــوى الإ     لـه وفي رضاه ذهابه وإيـــابه

في العلم والتعليم أنفق عمـــــرهُ     فنمت مراثيه وجل ثوابـــــه

مثل الفقيد فقد زهت بعلومــــه     **سيوون** وابتهجت به أحقابـه

لله قبر قد حواه لقد تطيــــــــ     ــب بالصفات الطيبات ترابـه

وسمى على كل القبور لأن فــــ     ـيه من التقى والحلم حل لبابه

بلَّ الإلـه ثراه من عفو ومغـــــ     ـفرة بغيث لايكف سحابـــه

وعلى بنيه بنى من الصـــــــــ     ـبر الجميل سرادقا ممتدة أطنابه

*****

وأبَّنه محب الدين الخطيب المصري في مجلة ( **الفتح** ) قال فيها : محمد بن محمد باكثير ، رزي فقه الشافعية في مدينة سيوون من عواصم حضرموت بوفاة فقيد العلم والأدب والصلاح ، جمال الدين الشيخ محمد بن محمد باكثير الكندي ، وقد أقيمت له المآتم وحفلات التأبين في حضرموت ، وجاءتنا مرثية عامرة من نظم

العالم المتفنن ، والشاعر المفلق السيد عمر بن احمد بن أبي بكر باسميط . إلخ ماذكره وأورد غالب أبياته المتقدمة بطولها .

**الثاني** : ما أرسله لي السيد الفاضل الفهامة : عبد الرحمن بن سقاف بن حسين السقاف من بتاوي جاكرتا ، وهو قوله :

الحمد لله ، وصلى الله على أشرف خلق الله ، وأفضل من قام بحق الله ، ودعى إلى الله ، سيدنا محمد بن عبدِ الله ، وآله وصحبه ومن والاه .

حضرة المكرم الأديب اللبيب الأريب الشيخ عمر بن محمد بن محمد باكثير ، وفقه الله للخير الكثير ، وسهل له كل عسير ، بجاه البشير النذير . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : فقد نعى لي أخوكم الفاضل الشيخ عبد الله بن محمد باكثير وفاة والدكم النحرير ، العلم الشهير ، والنبراس المنير ، ذي العلم الكبير ، شيخنا المرحوم محمد بن محمد باكثير ، تغمده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه بحبوح جناته ، وحشره في زمرة عباد الله الصالحين ، والعلماء العاملين . فلقد والله أحزننا انتقاله ، وأقلقنا إرتحاله ، وماذا عسى أن يفيد الحزن والأسف ، والموت غاية كل حيٍ ممن سلف وخلف ، ونهاية كل ابن أنثى مهما طالت مدته ، وتراخت منيته :

لابُدّ للإنسان من ضجعة　　　لاتقلب المضجع عن جنبيه

وقد خفف عني بعض الحزن مابلغني من خبر وفاته ، حيث وافاه الأجل في أشرف أوقاته ، وأحسن حالاته ، حالة العلم والتعليم ، والإرشاد والتفهيم ، تلك والله وظيفة الأنبياء ، ورتبة القضاء ، فهنيئا له هذه السعادة والمنزلة التي دونها الشهادة ، هذا هو مصداق الحديث : يموت المرء على ماعاش عليه ، ويبعث على مامات عليه . والفقيد رحمه الله أفنى عمره في الدعوة والإرشاد ، ونشر العلم ونفع العباد ، وقد تخرج على يديه الكثير الجياد ، ممن لاتحويه الأعداد ، ويفنى دون استقصائهم المداد ، فجازاه الله عنا أفضل من جازى الآباء عن

الأجداد ، بما يبدله المضجع في ظلم الألحاد ، ويعلي درجته في أعلى عليين ، ويلحقه بالأنبياء والأولياء والصالحين ، آمين يارب العالمين . فعظم الله أجركم وأحسن عزاكم ، وجبر مصيبتكم ، وغفر لميتكم ، وألهمكم جميل الصبر ، لتحوزوا جزيل الأجر ، وأخلف علينا وعليكم وعلى جميع المسلمين بالخلف الصالح .

ونرجو أن تسدوا الفراغ الذي تركه ، لتحوزوا بالفرض والتعصيب من التركة ، فتحلوا محله ، وتعملوا عمله ، فإن الإبن تكملة أبيه ، وسره فيه يتم ماكان أبوه يبنيه ، ويسلك سبيله ويقتفيه ، فهذا هو المقصود من التركة ، وفيكم إن شاء الله البركة ، واحفظوا ما للمرحوم من آثار ، مؤلفات وأشعار ، فذكر الفتى عمره الثاني كما قال أبو الطيب :

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ... مافاته وفضول العيش أشغال

وأذكر أن للمرحوم نظم لي سابقا وصية مطلعها :

طلب الوصية طالب وله محل ... عندي ونعم الفاضل المولى الأجل

فإن كانت هذه الوصية موجودة عندكم فتفضلوا انقلوها إلي وأرسلوها .

وعندما بلغني خبر الوفاة هجس الخاطر الكليل وأتى في رثاء المرحوم بالنزر القليل ، في أبيات غير فصيحة ، جادت بها القريحة ، كما ترونها طي هذا المكتوب ، واستروا مافيها من العيوب ، فهي من سقط المتاع ، لجهد المستطاع ، وهي هذه :

سار إلى الله سليم الفؤاد ... واستحث الزاد ليوم المعاد

أستاذنا النحرير طود التقى ... ومعدن الجود وغيث البلاد

من أنفق العمر لنيل الرضا ... وحقق العلم لنفع العباد

ولم يدع في عمره ساعة ... ذاهبة في خير مايستفاد

ذاك جمال الدين من موته ... أيتم طلاب العلوم الجياد

مجالس التعليم تبكيه والأ ... سفار تنعاه بلبس السواد

تندبه التحفة والروض والمـ ـجموع والنهج وفتح الجواد
وكتب التفاسير والنحو والـ ـتاريخ والآثار في كل نـاد
فيالـها من ثلمة مـــوته في الدين إذكان إمام الرشاد
وناشر العلم لطــــلابه ومرشد الخلق لسبل السداد
فرحمة الله على قـــبره وفاز بالروح وطيب المعاد

******

**الثالث** : ماوصل إلي من الشيخ الفاضل الأجل : محمد بن عوض بافضل التريمي هذه المرثاة وهي :

أتأمن يافتى ريب المـــنون كأنك ذو خبال أوجـــنون
وتمرح في ذيول التيه عجـبا وتنسى غدره الدهر الخئون
ترجي العمر في لعب ولـهو وتسرف في البطالة والمجون
وأيدي الحتف تعبث بالبرايا وتعمل ما تشاء بكل حـين
وما دعت امـــرء إلا ولبى وإن يك في منيعات الحصون
فخذ زاد المعاد وغض طرفا عن الزهرات في دار الفـتون
فخاطبها صريع هـوى ونفس تئول به إلى ذل وهـــون
وأنك لامحالة عن قـــريب تساق وأنت منقطع القـرين
وإن أمامنا سفرا طويـــلا فأين الزاد أنى ياظنيـــني
ونعم الزاد تقوى الله فاشدد يديك بذلك الحبل المتـــين
تنل مجدا وعـــزا لايسـامى من التأييد والشرف المكين
وتخلص من سجون كنت فيها إلى حور بدار الخلد عـــين
وأن المرء مقبوض على مـا عليه يعيش من دنيا ودين
ومن ينشأ على الطاعات يغبط بتثبيت لدى رشح الجبـــين
كمثل محمد ابن كثـــــير كثير الفضل والوصف الحسين

ومتلي الوطاب [١] من العلو ... م التي تحوي لإبداع الفنون
كريم النفس صافي القلب جم ... المزايا والتناهى في العيون
حليف تهجد ولزيم ذكر ... يناجي الله بالقلب الحزين
عهدناه مهيبا ذا وقار ... يجانب كل مذموم مشين
تفيض عبابه علما ويلقي ... جواهره لطالبها الفطين
فيصبح وهو خالي الجيب منها ... يتيه بذلك العقد الثمين
له شغف عظيم واشتغال ... بتحصيل الشوارد كل حين
عشيق العلم من صغر إلى أن ... أتاه من العلا داعي المنون
فلبى بالجلالة وهو مصغ ... إلى لفظ الحديث عن الأمين
وتلك مزية تقضي لعمري ... بحسن السابقية واليقين
وما مات امرء أبقى ثناء ... ونسلا سالكا نهج اليمين
وأسفارا صحاحا فائقات ... من التأليف في كل الفنون
تغمده برحمته تعالى ... وأنهله بكاس من معين

*******

**الرابع** : ما أرسله إلي السيد الفاضل الأديب : عبد القادر بن احمد بن عبد الرحمن السقاف هذه المرثاة :

كيف ترقى الدموع والقلب دامي ... أوتذوق العينان طعم المنامِ
والأسى لم يفارق القلب حتى ... خِلتَ أن الأسى رسول الحِمام
شب نارا في مهجتي فغدا الجسـ ... ـم عليلا ومرتعا للسقام
وتولى الجوى فؤادي فأضنا ... ه وأوهى القوى وفتت عظامي
وتصبرت للزمان فلم أقوى ... على الصبر والدموع هوامي

---

[١] الوطاب : جمع وطب وهو الجلد .

خدرت في محاجري أي تخــــد　　يد ومن فرطها همت بانسجام

وبقلبي من ذاك همٌّ وغـــــمٌّ　　واحتراق يغشى وكثر هــيام

كيف أسلو والدهر جرعني المر　　وكاس الهـــــموم والآلام

أفقدتنا الأيام كهف العلا مــن　　قد خصه ربه بأشيا عظـــام

هدمت صرحنا الرفيع فما أعظـ　　ـم ماهدمت يد الأيـــــام

فأجأتنا بموت من قد قضى أيـا　　مه خدمة لهـــــذا الأنام

سلبتنا من حق للعين أن تبــ　　ـكيه دائبا مدى الأعـــوام

ليتنا نفتديه والمــوت لايـــأ　　بى الفداء على الكريم الإمام

أولمثل الفقيد يبقى والأغمـــا　　ر يردى بكثرة واللـــئام

همه دائما لجمع شتات الفضــ　　ـل والمجد لالجمع الحطـــام

فمنار العلوم أعـلاه حـــتى　　صار لم يخش من أذى الإنهدام

بحر علم أمواجه تتـــــمادى　　دائما في فؤاده بالتـــطام

في ابتداء عمره وفي المنتهى كا　　ن حليفا للعلم والأعـــلام

يرتوي من شرابهم سلسبيل الأ　　نس والقرب وهو خير إمـام

وإذا أظلم الدجى بات يدعـــو　　ربه في تلاوة وقــــــيام

راجيا من إلهه مطلب الكمـــ　　ـل هداة الهدى الخيار الكرام

ولعمري لقد حظي مثلهم بالقصـ　　ـد من ربه الإله الســـلام

كيف لا وهو ناشر علم الـــد　　ين يروى على ذرى الأعـلام

فهنيئا له البشارة بالـــــمأ　　مول إذ كان ناصر الإسلام

ولتطب نفسه فقد خلف الأعما　　ل ذكرى على ممـر الــدوام

كان فينا مجلي صدى القلب والأ　　رواح دأبا وملقح الأفهـــام

ولدى الخوض في العلوم هو الحا　　ئز للسبق والمجلي القـــتام

وإذا حل ذو قناع فهل غير الـ　　ـفقيد يزيله بالمـــــــرام

طمحت نفسه إلى مستوى العليا ء حتى استوى بها للمــــقام
حسبنا من مديحه ماذكرنـــــا ه ومن لي بحصـــره بالتمام
فهو شمس فهل ترى الشمس تعلو بمديح أوتزدهي بنـــــــظام
غير أن الذكرى لأعمالـــه سلو ة أرواحنا مع الأجســـام
وإذا فاتنا الفقيد المفـــــدى وتوارى بالرغم تحت الرعـــام
فجدير بنا التسلي بذكــــرا ه لكي ينطفي لهيب ضــرام
وعليه فليبكه المجــــد ليهمي دموعا كمثل وبــــل الغمام
وعليه الثكلاء سيوون تبـــكي بسحاب يهمي بدمع هـــامي
من لها بعده إذا دهمـــــتها وادلهمت بها الخطوب الطوامي
وإذا الخطب جلَّ فينا فلا شك يهون بنجله الضــــــرغام
عمر الشهم من أبت نفسه أن ترضى إلا برتبة الأعـــلام
فلعمري مامات من كان أبـقى مثله ساعيا لمجــــد الكرام
واغتذى في الشباب من لبن العلـ ـياء والمجد بعد فرق الفطـــام
وتهون الأحزان إذ كان بين الحو ر في الخلد وسط تلك الخيام
فاصبروا أسرة الفقيد فإن الـ ـخطب قد عمـنا وكل الأنام
وعزاء فيمن فقدتم فليس الـــ ـد هر يرعى عهد الوفا والذمام
فعلى قبره الشريف دموع المـز ن تهمي من ربه بـــــدوام
وعليه الصلاة بعد رســول الله طه الهادي وأسنى السـلام

******

**الخامس** : ماوصلني من الأخ الأديب حسن بن احمد باكثير وهو إذ ذاك بمكة المكرمة حسب كتابه المحرر : ١٢ ربيع الأول سـنة ١٣٥٥ هـ المرثاة التي صدرها : **نفثات صدور** وهي :

ياقلب مالك دائم الحســرات وأراك تقضي الوقت بالزفرات

هلا اكتفيت بزفـــرةٍ وترحمٍ ... ولغيت عنك هذه العـــبرات
رحماك بالجسم النحيف فإنـه ... قد شفه الملـــوان بالنكبات
فأجابني متأوها متـــــــنهدا ... عبثا تحاول تركي الآهــــات
أتريد أن أدع البكاء وقد ثـوى ... من في المعارف آية الآيـــات
عمي الذي تحكي البدور خصاله ... وفعاله يسمو عـلى النجمات
بحر الندى الشهم الكريم نجاره ... لم يعرف الأعياء في الحسنات
والأمجد المفضال قدوة قـومـه ... وعلى جنود الشر ذو صولات
والشعر طوع لسانه فكأنــــه ... مملوكه يجلي به الكربــــات
حسن الشمائل كالخضم علومه ... ذو مكرمات جـمةً وهبـــات
سل عنه سيوون الذي هو كهفها ... عند اصطرام العلم بالشـبهات
وعميدها ولسانها ويراعـــــها ... وشهابها الماحي دجى الظلمات
وسل المعارف والمكارم والعلا ... ومحاسن الأخلاق والصدقات
تخبرك بالخبر اليقين فإنــــها ... امتزجت به وبلحمه والـذات
قد جاد بالنفس الأخير مهللا ... لاشك هذا أشرف الوفـيـات
أواه وآ أسفا أيقضي قبلمــــا ... أحظى برؤيته فوا كـــربات
كم كنت أرجو أن أراه بناظري ... وأرى شمائـــله وكم حسـرات
ياعين سيلي بالدموع وبالدماء ... وتقطري ماشيئت من قطـرات
ياشعر إن كنت الشعور فأولني ... بيتا يبـين وافيا خطــــــراتي
لكن محال أن يبين بحســرتي ... إذ حسرتي تاهت لها أبيـاتي
أخطأت كلا لست محتاجا إلى ... تبيين ما في القلب من نفثاتي
إذ أن عمي قد درى ما في الضمـ ... ـير لأنه في عـالم الأمــــوات

***

بشراك ياعمي بموتتـك الـتي ... هي بغية العبــــاد والسادات

أنعم بها واهتك بها حجب السما فهناك مكثك في علا الجنـات
حيث الفطاحل في العلوم يحوطهم أنوار خير الخلق ذي الآيـات
فهمُ قيام يرقبون قريـــــنهم هو أنت فاذهب طاهر النسمات
فاذهب يجللك الإلـه بنـوره وتحفك الأمـــلاك مبتسمات
في ذمة الله الكريم وفضـــله ويثيبك الـــبركات والرحـمات

******

**السادس** : ماوصلني من الأخ الأديب الشاعر الكبير الشهير : علي بن احمد باكثير من مصر بتاريخ : ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هـ :

بسم الله وله البقاء وحده ، حضرة الأخ الأديب الفاضل عمر بن محمد بن محمد باكثير ، حفظه الله وجبر مصابه ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد : فالحزن ثائر ، والعزاء طائر ، والدمع حائر ، والصدر يضيق ، واللسـان لاينطلق ، والقلم يرتجف على الأنامل لهول المصاب ، وعظم الفجيعة ، لـوالدنا الجليـل فخر العشيرة ، وبقية الآباء الصالحين ، شيخنا الشيخ محمد ابن محمد باكثير ، غفـر الله له وأسكنه الفردوس الأعلى ، مع الأنبياء والصالحين ، والأصفياء المقربين ، وحسن أولئك رفيقا . لقـد عظـم علينـا مصابه وشـعرنا بمرارة الحسرة لفراقـه ، وكنـا نمني أنفسنا برؤيته في الوطن السعيد بعد بلوغ الغاية وقضاء الـوطر ، ولكـن إرادة الله لاتغلب ، وقضائه لايرد ، وتلك سبيل ليس فيها بأوحد :

وما أوسع الموت من منهل وما أشجع الخلق من وارد

ولايسع المؤمن بالله واليوم الآخر إلا الإسترجاع وحمل النفس على الصبر ، والرضا بقضاء الله تعالى ، أسأل الله أن يتغمد الفقيد برحمته ، وأن يلهمنـا وإياكم الصبر الجميل ، ويدخر لنا ولكم الأجر ، وأن يخلف على الفقيد منا ومنكم بالخلف الصالح . آمين .

وصلتني رسالتكم الناعية وأنا في أيام الإمتحان السنوي بالجامعة المصرية أخلط سواد الليل ببياض النهار درسا ومراجعة ، فكانت شديدة الوقع علي ، طار لها جوابي ، واختلط منها أمري ، وكدت أنسحب من الميدان لولا أن ابتهلت إلى الله فأمدني بقوة من عنده تمكنت بها من متابعة الإمتحان حتى النهاية ، والله أكرم من أن يجمع علي بين الحزن والخيبة ، فظهرت النتيجة بنجاحي ولله الحمد في هذا الإمتحان ، إلا أنني توعكت على أثره برهة من الزمن كان لها الأثر في تأخر كتبي إليكم :

ياعزائي وأين مني عزائي غاب عن وكره مع العنقاء

ذلك هو مطلع القصيدة التي رثيت بها الفقيد ، وإذا تمكنت من تبييضها أرسلتها مع هذا البريد أوفي البريد القادم .

ولا أزيدكم توجيه بالمحافظة على آثار والدكم أن تمتد إليها يد الضياع ، فسيأتي يوم يكون فيه لهذه الآثار قيمتها . كما أرجو أن تقوم مقام الوالد في الحدب على أهلك وكرائمك والعناية بهم وفقك الله وسدد خطاك .

وبكيت طويلا لما قرأت كتابك المفصل عن وفاة المرحوم وأسفت لأن الظروف لم تمكني من مواصلة الرسائل إليكم ، والله يعلم أن ذلك لم يكن مني تهاونا أونسيانا ، ولكنها مصر ومشاغل مصر .

والسلام عليكم وعموم الأصدقاء ، ولاتقطعوا عني رسائلكم ، والسلام .

*****

**السابع** : ماوصل إلي من عدن من السيد الفاضل أبي بكربن علي بن شهاب :

الحمد لله على كل حال ، مر وحال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى صحابته والآل ، وعلى الشيخ المفضال عمر بن الشيخ محمد بن محمد باكثير ، متع الله به آمين . صدرت من عدن بعد وصولنا إليها من الحرمين لأداء النسكين

، وقد فأجانا خبر إنتقال والدنا ووالدكم محمد رحمة الله عليه وعلى الجميع بخلف صالح ، وبشرتنا الكتب على انتقاله على أحسن حال مثل أبي زرعة الإمام المشهور كما بلغنا عنه أنه أتى بالحديث المسلسل فقال : أن من قال عند آخر كلامه لآ إله إلا الله خرجت روحه الزكية ، هكذا الإنسان يتمنى حسن الختام عند نزول الحمام .

وهذا تعزية لكم ولإخوانكم وأقاربكم ولنفسي أيضا ، ودمتم والسلام .

انتهى الكتاب

*****

الفهرس